الأطباء الأدباء

دراسة أدبية

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: الأطباء الأدباء
اســـم المـؤلف: عبدالله العولقي
التصنيف الأدبي: دراسة أدبية

رقم الإيـــــداع: ١٤٧٧٣ / ٢٠٢٤

الترقيـم الدولي: ٣ - ٩٧٢ - ٩٩٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين

تـصميم الغلاف: شيمـاء منيـر

التنسيق الداخلي: محمد وجـيــه

رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: ٠٠٢٠١٠٣٠٥٠٢٣٩٠

dewanalarabegypt@gmail.com

الأطباء الأدباء

دراسة أدبية

عبد اللّه العولقي

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى روح والدي

أحمد بن عبدالله أحمد الباكري

رحمه الله تعالى

عبدالله العولقي

****

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي أنشأ العالم على أبدع مثال، ونظم أحواله بأرباب العلوم حتى بلغ حد الكمال، ونثر عجائب المعارف في أرجائه، وغرائب العوارف في أنحائه، والصلاة والسلام على ينبوع العلوم وجواهر الأدب، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله ومن صحب.

هذا المصنف عنوانه (الأطباء الأدباء) كحالةِ تقصٍ لنخبة متميزة من البشر جمعت بين الطب والأدب، ويعد هذا الكتاب إضاءة للجوانب الإبداعية تجاه هذه الظاهرة الإنسانية، والتعرف على قدراتهم وإنجازاتهم الفكرية والثقافية والأدبية، فلو نظرنا لهذه الظاهرة العجيبة من عاملي الزمان والمكان، لوجدنا أنها ظاهرة قديمة حديثة تخترق أبعاد الجغرافيا البشرية، فلو تأملنا شيئاً من تاريخ العلماء المسلمين الأوائل لوجدنا كثيراً منهم قد جمعوا بين الطب والأدب مثل: ابن سينا، وابن الكتاني، وزين العطار، وموسى بن ميمون، وابن زنباع الطنجي، وغيرهم، كما أنها ظاهرة تنتشر في كل بلدان العالم، وقد تحدّثَ الكثيرون عنها في كتاباتهم ومقالاتهم.

في القرن الماضي، بعض النقاد لم يتفهموا لهذه الظاهرة الإنسانية، فشنوا هجوماً لاذعاً على الأطباء الذين يكتبون في الأدب، وقد اعتبروا هذه الكتابة نوعاً من الترف الاجتماعي وليس من باب الإبداع والفن الأدبي، بل وصف بعضهم هؤلاء الأطباء بأنهم متطفلون على الأدب، وعليهم أن يتركوا القلم ويكتفوا بالمشرط، لم يلتفت الأطباء الأدباء لهذه الأصوات ولم يعيروها أي اهتمام، لأنهم يدركون أنهم

أدباء فعلاً وليسوا متطفلين على الأدب، ومضت السنون والأعوام وأثبت هؤلاء الأطباء جدارتهم الإبداعية في فنون الكتابة.

حول هذه الظاهرة الإبداعية كتب العديد من الكتاب، ولعلّ أبرزهم أطباء أدباء لمحوا إضاءات فنية من خلال جمعهم بين الطب والأدب، وحكوا تجربتهم الإنسانية مثل: الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد في كتابه من مشاهير الأطباء الشعراء، والدكتور حسان شمسي باشا في كتابه الداء والدواء بين الأطباء والأدباء، بالإضافة إلى كتاب رائع لمحمد الخليلي بعنوان معجم الأطباء الأدباء، فكانوا قد جمعوا أعلام المتقدمين، ولكنّني في هذا الكتاب آثرت أن أتميز عن السابقين بالجمع بين أعلام الشرق والغرب في العصر الحديث، والتعرف على آراء الأطباء الأدباء أنفسهم وتجاربهم الذاتية حول هذه الظاهرة الإبداعية.

الحقيقة أنّ ظاهرة الأطباء الأدباء تمثل زخماً هائلاً في الأسماء والأعلام، فالكتابة الأدبية شأن إبداعي محض، ولا علاقة لها بأمر آخر، بمعنى أنّ من يمتلك مقومات الفن الإبداعي ومهارات الكتابة الفنية الابتكارية، يحق له أن يخوض غمارها وأن يكون كاتباً ذا شأن، ولا أدل من ذلك أنّ مجموعة كبيرة من هؤلاء الأطباء الأدباء قد حققوا شهرة واسعة في عالم الأدب، ولأنّ هذه الظاهرة قد اكتسحت العالم، ففي الولايات المتحدة الأمريكية جمعية اسمها جمعية الأطباء الأدباء، وعلى غرارها قامت جمعيات مماثلة في أوروبا والصين واليابان وسوريا، ومن الجدير بالذكر أنّ مدينة طنطا المصرية تسمى مدينة الأطباء الأدباء؛ لكثرة بروز هذه الظاهرة الإنسانية فيها.

ومن الجانب الآخر، هناك فئة من الناس وحتى بعض الأطباء منهم لا يتفهمون حاجة العلوم إلى الأدب والفنون، يقول الأستاذ المرحوم رجاء النقاش: بعض الناس يتصورون أنّ هناك فاصلاً حاسماً بين العلم والفن، وهذه الفكرة الخاطئة هي التي تدفع الكثيرين من شبابنا الذين يدرسون الطب إلى الابتعاد عن كل ما يمت بالفن والأدب من صلة، ولهذا السبب فإنّ الكثيرين من أبناء الأجيال الجديدة الذين يدخلون الكليات العلمية يعيشون أحياناً تناقضاً واضحاً في حياتهم، فهم شباب متفوقون في دراستهم، وفي نفس الوقت فإنّنا نجد بعضهم ضيقي الأفق محدودي الثقافة، لا يعرفون شيئاً عن الدنيا خارج حدود دراستهم، والسبب الرئيس هو إهمال هؤلاء الشباب لثقافتهم العامة بعيداً عما يدرسونه من مواد علمية خالصة، فمعظم هؤلاء الشباب وللأسف الشديد لا يقرؤون الأدب!

وقد حاولت مع كل سيرة إبداعية أن أبحث وأستقصي حول تجربتها الشخصية مع الطب والأدب كعلاقة ثنائية تلازمية، وكيف يرى ذلك الطبيب علاقته بالطب، وسيرى القارئ الكريم أنّ هناك ثمة آراء متقاربة وأخرى متباينة حول طبيعة تلك العلاقة الإنسانية، فهذه التجارب في جوهرها ثرية بمحتواها وغنية في مضمونها، وتمثل حالة إبداعية إنسانية تستحق البحث والدراسة، كما أن ترتيب هذه الشخصيات والأعلام بين دفتيّ الكتاب لا يخضع لأي معايير أو تراتيب معينة حتى لا يجد القارئ الكريم شيئاً من الملل، وإنما جاء وفقاً لما أسعفته الذاكرة من الاستدعاء حول هؤلاء الأطباء الأدباء.

وعندما حاولت تقصي أسماء تلك الكوكبة المضيئة (الأطباء الأدباء) وجدت أنّ القائمة قد زادت عن مائة شخصية، وبعد الشروع في الكتابة آثرت أن أكتفي

بمجموعة من هؤلاء المبدعين، وأما بقية هؤلاء الأعلام فقد يسعفنا الوقت لكتابة جزء آخر يتضمن سيرتهم وإبداعاتهم، كما أنني حاولت أن أنوِّعَ في البلدان التي ينتمون إليها، وأختار الشخصيات التي أثرت في شخصيتي الأدبية وتكويني الثقافي، ولديهم سيرة تستحق أن تروى بين صفحات ومضمون هذا الكتاب والذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في الطرح والكتابة.

مؤلف الكتاب
عبد الله أحمد الباكري العولقي
٠٠٩٦٦٥٥٢٠٠١٨١٤

علاقة الطب بالأدب

لا أحد أقدر أن يتحدث عن علاقة الطب بالأدب من الأطباء الأدباء أنفسهم، ولذا سأكتفي في هذا الفصل بذكر أقوالهم وآرائهم حول هذه العلاقة الإبداعية.

تقول الطبيبة السورية هيفاء بيطار: إنّ هناك تزاوجاً عجيباً وجميلاً بين الطب والكتابة الأدبية، فالطب يجعلني واقعية إلى أقصى الدرجات، ويعطيني ثقة لا حدود لها، كل هذه التجارب تنصب في قصصي ورواياتي، سواءٌ من وحي المرضى الذين أتعامل معهم أو اللقطات الإنسانية التي مرت في حياتي، فأنا أرى تكاملاً مميزاً أن أجمع بين الطب والأدب، ويقول الطبيب والأديب سامر سقا: إنّ الطبيب الذي يكتب الأدب هو القادر بحق على الإحساس بعمق النفس الإنسانية، فيعايش آلام الآخرين وأفراحهم ويتعامل معها باهتمام وحكمة، أما الدكتور علاء الأسواني صاحب رواية عمارة يعقوبيان الشهيرة فيرى أن مهنة الطب هي أكثر مهنة أنجبت الأدباء، فيقول: إنّ الطب ساعدني كثيراً في الأدب.

الدكتور محمد المخزنجي يقول عن هذه العلاقة: اخترت دراسة الطب لأسباب عاطفية، ولكنها في ذات الوقت غير بعيدة عن حبي للكتابة، لأنّ الانشغال بالألم الإنساني هو شغلة الأدب أيضاً، أما الدكتور والأديب السعودي عبد الله مناع فيقول: إنّ الصلة تاريخية ومتلازمة بين قلم الكاتب ومشرط الطبيب، فمشرط الطبيب يعالج حالات مرضية بعينها أما قلم الكاتب، فيتوجه إلى المجتمع ليعالج الأمور السلبية فيحاول بقدر استطاعته إصلاحها.

يقول الدكتور مصطفى محمود: إنّ للطب علاقة وثيقة بالحياة على العموم، فالطبيب هو الوحيد الذي يحضر لحظة الميلاد ولحظة الموت، وهو الذي يضع يده على القلب ويعرف أسرار نبضه، وكل الناس يخلعون ثيابهم وأسرارهم بين يدي الطبيب، فهو الوحيد الذي يباشر الحياة عارية من جميع أقنعتها، وكأنّ الدكتور مصطفى محمود يقول: إنّ الطبيب هو الأجدر بالكتابة عن غيره، أما الطبيب الأديب نزار بني المرجه، فيربط بينهما من ناحية الألم، فيقول: لقد استطاع الشعر أن يجعلني طبيباً من نوع آخر، وبه صرت أتعامل مع مرضاي بنمطٍ جديدٍ، ولعلّ الشعر قد أبعدني عن التعامل المادي مع مرضاي، وإنّ من فضائل ممارستي لمهنة الطب عليَّ كشاعر أنها تقربني من فهم الألم بمفهومه العضوي، وإذا كان الشعر قد أتاح لي معرفة الألم الإنساني بمفهومه الأعم والأشمل، فإنّ ممارسة مهنة الطب قد أتاحت لي اكتشاف العديد من النماذج البشرية الإنسانية المغمورة، والقابلة أحياناً لأن تكون محرضاً لعملية الكتابة الإبداعية.

الطبيب الجراح والشاعر المبدع نزار بريك هنيدي يؤكد أنّ ثمة علاقة جوهرية قائمة بين الطب والشعر، ويقول: إنّ الطب أقرب المهن إلى نفس الشاعر، والجراحة فعل شعري وعمل فني إبداعي، فالعمل الجراحي يمثل مغامرة تستفز أعصاب الجراح مثلما تستفز أعصابه القصيدة، وهذا يأخذنا نحو الطبيب الأديب غالب خلايلي صاحب كتاب الحب بين الأدب والطب فيقول: بين الأدب والطب علاقة وثيقة حميمية يجمعها حب خالد، فالطب مهنة لصيقة بالحياة، إنه فن التخاطب مع المريض وأحاسيسه، ويقول الطبيب والأديب الإنجليزي الشهير سومرست موم في

كتابه "تلخيص حياتي": لست أعرف مراناً للكاتب أفضل من أن يقضي بضع سنوات من حياته في مهنة الطب.

وقد صدرت العديد من المجلات التي تهتم بالعلاقة بين الطب والأدب منذ عشرات السنين مثل مجلتيّ الصحة، ونداء الصحة في لبنان، ومجلة طبيبك في سوريا، ومجلة الأم والطفل في العراق، فهذه المجلات رغم أنها طبية في الأساس إلا أنّ القائمين عليها كان لديهم وعي بقضية الأطباء الأدباء فكانوا ينشرون إبداعاتهم الكتابية من الشعر والقصة والرواية.

وهنا لا بد من الحديث عن حقيقة أخرى، وهي أنّ الطبيب ليس بالضرورة إن كان لديه موهبة إبداعية أن يشتهر في الأدب والكتابة فقط، فكثير من الأطباء أبدعوا واشتهروا كفنانين تشكيليين أمثال الدكتور علاء بشير، والدكتور قتيبة الشيخ نوري والدكتور خالد القصاب وغيرهم كثير، كما أن بعضهم أبدع في مجال الموسيقى والفن كالدكتور حسين فوزي.

نماذج الأطباء الأدباء

تعجّ الأسماء في الشرق والغرب حول موضوع الأطباء الأدباء، وقد جمعت في هذا الكتاب مجموعة من الأسماء اللامعة التي جمعت بين الطب والأدب، والحقيقة أنّني لم أعتنِ بأي ترتيب تاريخي أو جغرافي لسرد ترجمة هذه الشخصيات؛ لأنّ الهدف الأساسي هو التعرف على هذه الظاهرة الإنسانية من خلال شخصياتهم الإبداعية المتفوقة.

من الجدير بالقول: إنّ العصور الإسلامية الزاخرة عرفت هذه الظاهرة مبكراً، ولعلّ كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة يعج بتلك الأسماء المبدعة التي جمعت بين الطب والأدب، وفي مقدمة هؤلاء، أبو الفضل الحارثي، وابن زهر، والطبائعي، والفاصد، وشرف الدين الرحبي، وابن بطلان، وأحمد عبد الرحمن بن مندويه الأصفهاني وغيرهم، ويكفي أنّ بعض هؤلاء الأطباء قد استعمل الشعر كوسيلة تعليمية لحرفة الطب، بل إنّ بعض هؤلاء الأطباء قد وصل تعلقه بالشعر والأدب أنه كان يجيب شعراً منظوماً على الأسئلة والاستشارات الطبية.

كما أنّ النظر إلى الثقافات البشرية كاليابانية والصينية والأوروبية يخبرنا عن وجود هذه الحالة الإبداعية حتى في الزمن القديم من ثقافتهم وتاريخهم الإبداعي، فهي ظاهرة إبداعية ترصد في كل الثقافات البشرية قديماً وحديثاً، كما نريد أن نثبت أنّ هذا الكتاب لا يعني رصداً كاملاً لهذه الظاهرة الإنسانية بقدر ما يكتفي بإضاءة بعض ملامح وجوانب الإبداع فيها، ولا يعني أيضاً رصداً لكل هؤلاء الأطباء الأدباء بقدر ما يعطي نماذجاً متنوعة لهذه الظاهرة من الشرق والغرب.

مؤسس النقد الأدبي الحديث

يُعدُّ الناقد الفرنسي سانت بوف أو سانت بيف، كما يحلو لبعض المترجمين تسميته أشهر أسماء نقاد الأدب العالمي في العصر الحديث، فسانت بوف يمثِّل سيرة أدبية مُفعمة بالعمل الدؤوب والنشاط المستمر، ويمثل حياة ناجحة متفوقة في الأدب، كما يمثل سيرة إنسانية عالمية تستحق الثناء والتقدير، فلقد أحدث هذا الناقد العظيم نقلة نوعية في التاريخ الأدبي الحديث، جعلته يمثل مكانة هامة تستحق البحث والدراسة، فهو بلا شك مؤسِّس النقد الأدبي الحديث.

ظلّ النقد الأدبي منذ الفيلسوف الإغريقي القديم أرسطو وهو يطوي السنين والقرون دون أن يطرأ عليه أي تغيُّر نوعي، حتى النقاد العرب في أزهى العصور الإسلامية لم يخرجوا عن تقليدية أرسطو سوى بعض اللفتات العبقرية التي قدَّمها عبد القاهر الجرجاني، أما معظمها فظلت تحت قبضة القوالب الأرسطية والتي حكمت هذا الفن الأدبي ما يقارب ألفي عام، ولكن التطور العلمي في القرن التاسع عشر كان قد تسارعت خطواته بشكل قوي وملحوظ، وكان علماء النبات والحيوان قد صنَّفوا الكائنات الحية إلى ممالك وفصائل وطوائف وعشائر – حسب خصائصها وأشكالها وسلالاتها – حتى يسهل حصرها ودراستها وإجراء البحوث عليها، فتأثر سانت بوف بهذه الطريقة وطبَّقها بصورة ذكية وفريدة على النقد الأدبي، فصنَّف الأدباء والشعراء إلى فصائل وطوائف وعشائر، وذلك حسب مدارسهم الشعرية وأعراقهم الجنسية وتوجُّهاتهم الفكرية، فأحدث بذلك ضجة واسعة في أوروبا جعلت الجامعات والصحافة الأوروبية تلتفت إلى هذه التجربة

الفريدة التي كسرت القوالب النقدية الأرسطية، وأبدعت أنماطاً جديدة من النقد الأدبي.

في القرن التاسع عشر، تم تدشين مذهب جديد عرف بمنهج العلوم الطبيعية، هذا المنهج دشنه الطبيب والناقد الفرنسي الشهير سانت بوف (١٨٠٤-١٨٦٩م)، وقد استنبط سانت بوف منهجه من تطور علوم الأحياء، لقد أنكر بوف مسألة الذائقة الشخصية ووضع قواعد للنقد صارمة، كان يحاول أن يضع حداً لعلم النقد وألا يجعله يستند إلى فكرة الذوق الشخصي، ولأنه طبيب فقد درس في علم الأحياء الممالك الحيوانية والنباتية، وتقسيماتها المعروفة من الفصائل والعشائر حسب تشابه خصائصها، وبالتالي فقد ذهب إلى تقسيم الأدباء والشعراء إلى مجموعات حسب أزمنتهم ومدارسهم وهكذا، لقد أحدث هذا الطبيب العظيم ضجة واسعة في الأدب الأوروبي عموماً، وفي الأدب الفرنسي على وجه الخصوص، كان معروفاً عنه الدقة المتناهية إلى درجة الهوس والجنون، كان يذهب إلى المكتبة العامة في باريس ليستعير عشرات المجلدات من أجل أن يكتب مقاله الأسبوعي، فقد أعطى النقد الأدبي قيمة لم تكن تتواجد قبله، كان الباريسيون ينتظرون مقاله الشهير أحاديث الاثنين بفارغ الصبر، فقد درس الأدباء والشعراء دراسة علمية تقوم على تفاصيل حياتهم، فقد كان يرى أنّ لهذه التفاصيل أثراً مهماً في نتاجهم الأدبي، فكان حريصاً على معرفة تفاصيل الأسرة التي عاش الأديب بين ظهرانيهم، والمدينة التي كان يقطنها، ومن هم أصدقاؤه ومريدوه؟ وهكذا، لم يكن يفوّت شاردة ولا واردة إلا ويربطها مباشرة بنتاجه الأدبي، وقد خرج من كل هذا المجهود العظيم بثروة هائلة من النقد الأدبي، وبالتالي أصبح سانت بوف هو الرائد

الحقيقي للنقد الأدبي الحديث، وقد خرج من عباءة مدرسته العديد من مدارس النقد الأخرى.

تميَّزت كتابات سانت بوف بالدقة المتناهية مع تفاصيل الحياة التي عاشها الأديب أو الشاعر ليقينه الجاد على تأثيرها الفعلي على أدبه وإنتاجه، كما تميَّزت حياته نفسها بالعمل الدؤوب، وبالنشاط المستمر، وبالعزيمة التي لا تكِلّ ولا تملّ، فكان يحبس نفسه في مكتبه المكتظ بالأوراق والكتب والأقلام، ولا يخرج للناس إلا بعد أن يعد مقاله الأسبوعي الشهير (أحاديث الاثنين).

من أشهر المراجع العربية التي كتبت عن هذا الناقد العظيم ما كتبه الدكتور علي درويش في كتابه دراسات في الأدب الفرنسي حيث تحدث عن سانت بوف بروعة مدهشة، وقد وصف تفانيه في العمل وتعبه في إعداد مقالاته وكتبه، ومن ذلك ما ذكره سانت بوف نفسه في إحدى رسائله لصديقه ليسكور: إني أضيق لا على الجمهور وإنما على مجتمعنا بشكله الراهن لأنّ رجلاً يعمل ويؤلف منذ أربعين عاماً ثم يجد نفسه مقضياً عليه بأن يعمل إلى ما لا نهاية دون أن يفطن أحد إلى أنه يبذل كل أسبوع مجهوداً عضلياً مضنياً ويعرض نفسه لأن ينفجر ذات يوم عصب من أعصابه، إن جسدي يتوتر كل يوم بصورة بشعة.

يقول سانت بوف: ما من شخص يحق له أن يقول إني أفهم الناس وكل ما في وسعه أن يقول: إني في طريقي إلى أن أفهمهم، ويقول: إني أرى في النقد شيئين يبدوان متعارضين بالرغم من أنهما ليسا كذلك: الناقد ليس إلا رجلاً يحسن القراءة ويعلمها للآخرين، والنقد كما أفهمه وكما أود أن أزاوله هو ابتكار وخلق فني، كما يقول عن أسلوبه في النقد: حين تشرع في الكلام عن كاتب من الكتاب، عليك أن

تبدأ بقراءته بنفسك قراءة واعية، وأن تدوّن الأجزاء المميزة له، وأن تسجل مذكراتك، وعليك بعد ذلك أن تبسط بمهارة الصفحات المقارنة التي أعددتها عن هذا الكتاب وأن تقرأها دون أن تقحم نفسك إلا من بعيد، وهكذا ينتهي بك الأمر إلى الإفصاح عن نفسه وإلى الارتسام في أذهان مستمعيك.

لقد اكتسب سانت بوف مكانة رفيعة في دنيا النقد والأدب، قلما اكتسبها غيره من النقاد، فهو الذي أحدث نقلة نوعية في تاريخ النقد الأدبي الحديث، ويُعدّ الأديب المصري الشهير طه حسين أول من أدخل طريقة سانت بوف النقدية في الأدب العربي، وتبعه عباس العقاد في معرض دراسته عن ابن الرومي، كما يُعدُّ بوف أول مَن فتح مجال النقد النفسي لسيجموند فرويد، وكارل جوستاف يونج، كما أن له الفضل على تلميذه هايبولت تين صاحب مدرسة تين الشهيرة، والتي تعتمد في نقديتها على أصولية العرق، كما أنه فتح مجال التطور الأدبي لبرونتيير، فهو بحق وحقيقة أبو النقد الحديث.

أمير القصة العربية

يعد يوسف إدريس من رواد كتابة القصة القصيرة على مستوى الوطن العربي، وقد نال شهرة واسعة من أصالته في الكتابة ونبوغه فيها، فهو يعتبر بحق رائداً خالقاً في هذا المجال، فمجموعاته القصصية لا تضارعها أية مجموعات أخرى في عالم القصة القصيرة، تقول عنه الأديبة لوسي يعقوب: إنّ أدب يوسف إدريس يعطي للقارئ لوناً من التحرر الفكري، وينطلق به إلى آفاق طالما تمناها عقله الباطن واختزنتها رغباته الدفينة التي لا يجد لها الشجاعة الكافية، ولا المتنفس الطلق إلا في الكتابة والقلم، أما مسرحياته فهي آية أخرى للإبداع والجمال، وهي تشمل جوانب تصويرية متعددة، منها الجانب السياسي، ومنها الجانب الاجتماعي، وهي تحليل شامل لأفكار ومشاعر ومشاكل الإنسان.

والحياة في نظر يوسف إدريس هي عملية تغيير، فما من شيء ينبغي أن يبقى ساكناً أو ثابتاً على حاله، ولذا فهو يؤمن بأنّ الأفكار والفلسفات والقيم يجب أن تتغير باستمرار، ويصرّ على أنّ القيم والأفكار إذا ثبتت على حالها توقفت الحياة، فالبشر لم يولدوا ليتقبلوا الوضع المفروض عليهم من الجيل السابق، ولذا يبحث يوسف إدريس كإنسان وككاتب باستمرار عن أفكار وفلسفات جديدة، وينادي بأنّ للكاتب مهمة في المجتمع ينبغي أن يقوم بها في عالم من التغيير، أما عن آرائه في الكتابة، فهو يقول: إنّ الكاتب هو إفراز حياته، فإذا ما توقف الكاتب عن ممارسة الحياة فلن يستطيع الكتابة – فالمسألة – كما يقول يوسف إدريس: هل يعيش

الكاتب ليكتب أو يكتب ليعيش؟ أهو شخصياً يختار أن يحب ويقاسي ويناضل كي يكتب، أم العكس؟ وهذه معضلة بالنسبة له، ولكنّه يعلم أنّ الفنان لا بد أن يعيش ملء حياته وبالكامل كي يتسنّى له أن ينتج، فكتاباته ليست شيئاً مخططاً له من قبل، وهو يريد أن يكون حدسياً وأن يعكس حالة الإنسان الطبيعية، أنّ لديه فكرة عامة في ذهنه، ولكنه لا يعرف كيف سيكون سلوك شخصياته، ولا كيف ستنتهي قصته أو مسرحيته، وكما قال دورينمات من قبله: إنّ الأفكار تأتي دائماً من وحي اللحظة، والمهم لديه هو ما يضعه في حينه، وهو دائماً مستعد لجحد ما صنعه من قبل، وما يعتقده عن فنه، يتغير في أثناء خلقه للفن، فكل إنتاج إنما هو تحدٍ جديدٌ له، وعندما يقارب التمام، يكون متشوقاً أن يكتشف ما أتمه.

ولئن أراد يوسف إدريس أن يكون حدسياً في كتاباته، فإنه يريد أن يكون علمياً في بحثه، فهو مؤمن بالملاحظة وجمع المعلومات كي يكتب بإحكام وتدقيق، وهنا لا بد من القول إنّ مهاراته في الطب التحليلي، بالإضافة إلى عادته في ملاحظة التفصيلات قد أتاحت له أن يكون كاتباً بارعاً في القصة القصيرة، ولكنها عقبة عند الكتابة للمسرح، فمع أنّ الصياغة الدقيقة للشخصية والمواقف لها أهميتها في المسرحية، إلا أنّ التحليل المفصل يلحق الضرر بالمسرحية الجديدة، أما مسيرته وحياته، فقد ولد يوسف إدريس في ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ م، في قرية البيروم بمحافظة الشرقية لأسرة من متوسطي المزارعين تضم عدداً من المتعلمين الأزهريين، حيث تعلم في المدارس الحكومية والتحق بعد دراسته الثانوية بكلية الطب في جامعة القاهرة التي تخرج منها عام ١٩٥١م، وكان والده متخصصاً في استصلاح الأراضي،

ولذا كان كثير التنقل باستمرار، وعاش بعيداً عن المدينة، وقد أرسل ابنه البكر يوسف إلى الريف ليعيش مع جديه في القرية، وهناك عاش يوسف إدريس طفولته وسط صمت جديه ووحدة طويلة، وفي يسار وحدته ووحشته، لاذ يوسف إدريس في عالم من أحلام اليقظة، وخلق لنفسه عالماً يستطيع من خلاله أن يحقق ما يحتاج إليه من الحب والدفء، ثم عاد وهو مراهق للحياة مع أسرته إلى القاهرة، والتحق بكلية الطب، وفي سنوات دراسته اشترك في مظاهرات كثيرة ضد المستعمرين الإنجليز، وفي أثناء دراسته الجامعية كان يكتب محاولاته الأولى في القصة القصيرة، والتي لاقت رواجاً حسناً بين زملائه في الكلية، وبعد تخرجه من الجامعة عين طبيباً في القصر العيني وهو أكبر مستشفيات ظاهرة حينها.

ومنذ سنوات الدراسة الجامعية ما بين عامي ١٩٤٧م و١٩٥١م، ويوسف إدريس يحاول نشر كتاباته، وقد بدأت قصصه القصيرة تظهر في مجلتيّ المصري، وروز اليوسف في عام ١٩٥٤. حيث ظهرت مجموعته القصصية الأولى تحت مسمى أرخص الليالي، وظل يمارس الطب حتى عام ١٩٦٠ م، حينها وجد نفسه في الأدب، وفي كتابة القصة القصيرة، وحينها اعتزل الطب كمهنة، وتفرغ للإبداع في مجال الأدب، وتحديداً في القصة القصيرة.

وفي سنة ١٩٦٣م، حصل على وسام الجمهورية وأصبح علماً جسيماً في سماء الأدب، واعترف به ككاتب من أهم كتاب عصره، وظل محط اهتمام وتقدير النقاد والمتابعين حتى وفاته، كما حصل على جائزة عبد الناصر في الآداب عام ١٩٦٩م، وجائزة العراق للآداب عام ١٩٨٨م، وجائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٠م.

يعتقد يوسف إدريس أنه ليس عالماً، ولكن هذا لا يعني أنه ليس قارئاً نهماً، ففي أثناء اشتغاله بكتابة روايته القصصية القصيرة الأولى، كان يطالع باستفاضة في الأدب الأجنبي، مكتشفاً عملاقة الرواية العالمية كمباسا وتشيخوف و إدجار آلان بو، وجوركي، وهيمنجواي، وتليستوي، وشو، وأ بسن، وجراهام جرين، و أرثر ميلر، و ملفيل، وقراءة كثيرين من الكتاب الفرنسيين مثل سارتر ودي هامبل، بيد أن كاتبه الفرنسي المفضل هو اكسبوبيري، كذلك اهتم ببعض الكتاب الصينيين واليابانيين والهنود والكوريين والإسبان، كما كان يرى أنه من النادر أن ينتج الكاتب الرائعة تلو الأخرى، ويؤمن بأن كل كاتب مسرحي مثلاً لا ينتج إلا عملاً فنياً واحداً طيلة حياته، ويقول: إنه من العسير العثور على التأليف المضبوطة من الشخصيات والأفعال واللغة، ولذا فإن بستان الكرز يعد من أروع روائع تشيخوف، كما أنّ سانت جون من أهم أعمال برنارد شو.

إنّ يوسف إدريس الطبيب، هو أيضاً الطبيب المعالج في فن القصة القصيرة، فإنها تقرب من عملية جراحية تعالج من مبضع جراح ماهر وتحليله لنفسية شخصيات قصصه، وتعكس طبيعة الطب النفسي الذي حاول أن يكونه في فترة ما، أما تصويره للعنصر الجنسي في قصصه، فيرمز إلى ظمأه للحب في أولى فترات حياته، ويرتفع مستوى التكنيك الفني في قصص الدكتور يوسف إدريس إلى مستوى فني عظيم، لقد جذبت قصص يوسف إدريس الأولى الانتباه إلى أن اسمه سيصبح من الأسماء اللامعة في فترة وجيزة، وهو ما قد حدث بالفعل، خاصة بعد كتابة قصة أنشودة الغرباء والتي نشرت في مجلة القصة عام ١٩٥٠م، وبعدها تابع نشر قصصه في مجلة روز اليوسف، ثم قدمه عبد الرحمن الخميسي إلى قراء جريدة المصري التي كان

ينشر فيها قصصه بانتظام، ثم كتب عدة مقالات في مجلة صباح الخير، ثم أصبح من كتاب جريدة الجمهورية التي كان يرأس مجلس إدارتها في ذلك الوقت الرئيس الراحل أنور السادات، حيث بدأ ينشر حلقات قصص قاع المدينة والمستحيل و قبر السلطان، وبعدها انطلق يوسف إدريس مؤكداً مكانته كأبرز كتاب القصة القصيرة في العالم العربي.

ووفقاً للنقاد فإنّ رؤية إدريس الأدبية والفكرية تستند إلى حساسية فائقة، وإدراك نافذ لمظاهر الوجود الإنساني وحقائقه، أكثر مما تستند إلى معرفة معلوماتية محدودة، ويجمعون على أنّ كتاباته تتسم بمعرفة عميقة بالواقع الاجتماعي المصري، وبأسلوب ساخر، تشبه روح الفكاهة، معتمداً على استعمال اللغة العامية في أدب أغلب الحوارات، ومن الأحداث المثيرة أيضاً في حياة يوسف إدريس هجومه الشديد على زميله الروائي الكبير نجيب محفوظ بمجرد أن نال جائزة نوبل.

يقول الشاعر المبدع فاروق جويدة عن يوسف إدريس: كنت دائماً معجباً بيوسف إدريس المبدع، وكنت محباً ليوسف إدريس الإنسان، وكنت أعتقد أن شخصية يوسف إدريس تجمع شخصين في جسدٍ واحدٍ، وأنّ الخلاف بينهما هو خلاف بين الإنسان المبدع والإنسان العادي، وكثيراً ما كنا نتحاور ونختلف وكان من أقرب الكُتاب إلى قلبي، قلت يوماً لنزار قباني كان ينقصني شيء من جرأتك وكان ينقصك شيء من خجلي، وكان هذا أيضاً الخلاف بيني وبين يوسف إدريس، كان حاداً في كل كتاباته وكان فى حالة تمرد دائم، وكان لا يهدأ مثل أمواج البحر، فهو صاخب دائماً، فقد كان يعشق نجوميته ويغضب كثيراً إذا انطفأت الأضواء حوله، وكان يحب ذاته بجنون، وكنت تراه في كل ما كتب، لقد كان يوسف إدريس مختلفاً عن كل رفاق

مشواره ليس لأنه أكثرهم بريقاً، ولكن لأنه كان يعتز كثيراً بقدراته ويراها غير ما لدى الآخرين، كان يوسف إدريس متمرداً بالفطرة وكنت أرى فيه شيئاً من غرور نزار قباني وأحلام المتنبي التي خذلته، لقد اختار يوسف إدريس دائماً المناطق الصعبة.

تشيخوف، رائد فن القصة القصيرة

في طفولته، كان يهرب من والده ذي الأخلاق الرديئة تجاه حضن أمه الدافئ حيث تحكي له حكاياتها المسائية من أجل أن ينام، وعندما بلغ سن التعليم، التحق بالمدرسة اليونانية التي رسب في إحدى موادها التعليمية خمس عشرة مرة، فعاقبته الإدارة بالحبس في قبو المدرسة، وهناك بدأت بواكير موهبته الأدبية تتفتق عندما شرع يطلق النكات المضحكة على مدير المدرسة والتعليقات الساخرة على معلميه وزملائه وحتى على نفسه، لكنّه بعد ذلك تمكن من إكمال دراسته حتى المرحلة الثانوية.

لم يعِش أنطون تشيخوف طفولة سعيدة، ولذا ليس من فراغ أن يقول في سيرته الذاتية ومذكراته: في طفولتي لم تكُن لدي طفولة، فقد أجبره أبوه على العمل في الحانوت مع بقية إخوته، فكان تشيخوف يقف في المتجر البارد لساعاتٍ طوال على قدميه، مُحاولاً التغلب على الرغبة في النوم واللهو، كما أنّ أباه كان يجبره أحياناً على الغناء في كورال الكنيسة من أجل المال، وقد انتهت طفولته البائسة إلى حدٍ ما في عام ١٨٧٦م عندما أعلن والده عن إفلاسه بسبب عجزه عن سداد ديونه، فهرب من بلدته تاغازوغ إلى موسكو لكي يتجنب حبسه في السجن، وهناك لحقت به أسرته ما عدا تشيخوف الذي قرر أن يدخل كلية الطب، وبسبب مصاريف الدراسة المرتفعة قرر أن يعمل بمهنة تدريس أبناء الذوات والأسر الثرية، وما أن تصل الرسائل من والدته وأشقائه يشتكون من ضيق الحال في موسكو حتى يبكي ويؤثرهم على نفسه، فيرسل لهم ما يتقاضاه من أجر الدروس الخاصة، وبعد قصة كفاح

تمكن تشيخوف من إكمال دراسته ليتخرج طبيباً يتكسب من مهنته عام ١٨٨٤م، وقد اعتقد حينها ولفترة يسيرة أنه سيتخلص من عناء الشقاء المادي، لكن نفسه المرهفة وإحساسه الحاد تجاه الفقراء والمعدمين جعله يقدم خدمات الكشف والعلاج مجاناً لهم!

بطل قصتنا اليوم هو هذا الطبيب الذي اخترع فن القصة القصيرة وأهداه للأدب الإنساني، كان يجد في نفسه ميلاً عجيباً تجاه الحرف والكلمة أكثر من ميله نحو سماعة الطبيب، وبعد صراع يسير مع النفس، قرر أخيراً أن يعتزل مهنة الطب ويتفرغ لآفاق الأدب والقصة، وبعد سلسلة من القصص والكتابات التي كان يرسلها إلى المجلات والصحف الروسية، بدأ اسمه يسطع في سماء الأدب الروسي، وبدأ يحجز لنفسه موقعاً بين أدباء روسيا العظام في ذلك الوقت كتولستوي وفيودور ديستويفسكي وغوغول ومكسيم غوركي وبوشكين وغيرهم.

يقول مؤسس النقد الأدبي الحديث الفرنسي سانت بوف: حتى تدرس أديباً أو شاعراً فعليك أن تدرس العصر الذي عاش فيه، والمكان الذي قضى عمره فيه، وتتعرف على كافة العوامل التي أثرت في أدبه ومزاجه، حتى تكتمل الصورة النقدية حوله – وبالمناسبة فسانت بوف طبيب أيضاً – وحتى نطبق نظرية بوف على حياة تشيخوف، نجد أنه عاش في عصر ازدهار الأدب الروسي، كما بلغت الموسيقى الروسية أوجهها الإبداعي وذروتها الفنية عند تشايكوفسكي ورحمانينوف، كما بلغ المسرح الروسي قمة عطائه الفني عند قسطنطين ستانسلافسكي وزميله دانتشنكو، فيمثل هذا العصر زمن الذروة الروسية على كافة الأصعدة الروائية والموسيقية والمسرحية.

شرع تشيخوف يكتب قصصه وينشرها حول انتقاد الأوضاع العامة في روسيا، ولم يسلم أحد من سخريته، لا الأثرياء الأغنياء ولا حتى الفقراء المعدمين، كانت لديه نظرة فاحصة تجاه تناقضات المجتمع الروسي في ذلك الوقت، فقد جذب القراء برائعته الأولى قصة (السهب) والتي كانت تدشيناً لفن القصة القصرة في الأدب العالمي ونال عنها جائزة بوشكين، والتي تبعتها قصة (النوفيلا) التي ظهرت عام ١٨٨٨م، فقد كانت موهبة تشيخوف الفنية تؤذن بشق أسلوب جديد في الأدب الروسي، حيث لا تلعب الأحداث أو الحبكة الروائية الدور الرئيسيّ في أحداث الرواية، وإنما يلعبه المزاج العام للقصة ولوحات السهوب الشائعة في أفاقها اللا محدودة.

يقول الكاتب محمد هشام في إحدى مقالاته: كان الدكتور تشيخوف يسخر ممن يكتبون القصص الخيالية وممن يقبلون على تأليف القصص دون أن تكون لها مثيلاتها في الواقع، فكان يرى أن المجتمع والشارع والقرية والمحلات مليئة بالنماذج التي من الممكن أن يكتب عنها الأديب عامةً والقاص خاصةً، ومن هنا ليس من قبيل المصادفة أن تجد في قصص تشيخوف: التاجر وضابط الشرطة والموظف والصعلوك والطبيب والحانوتي والرسام والنحات... إلخ، فأبطال تشيخوف ليسوا نتاجاً لأديب يقبع بفرشه الوثيرة في برجه العاجي، وإنما كانت تخلق على يدي أديب كان يحب أن يُصادِق، ويلتقي كل الناس على اختلاف انتماءاتهم وطبقاتهم ومستوى ثقافاتهم ليملك في النهاية الكتالوج الذي ينظر إليه بين الفينة والأخرى ليشرح المجتمع الإنساني على عمومه، والروسي على خصوصيته، ومن هنا كان تشيخوف ينصح الكتاب المقبلين على دخول عالم الأدب ركوب قطارات الدرجة

الثالثة ليلتقطوا النماذج المثلى التي يجب تجسيدها في أعمالهم الأدبية، هكذا كانت خلطة تشيخوف الأدبية في التعرف على مكامن النفس الإنسانية، وسنرى في الفقرة التالية كيف قرر أن يتخذ خطوة تطبيقية جريئة من أجل ذلك الشيء!

عاش تشيخوف أربعة وأربعين سنة فقط بعد أن فتك به مرض السل الرئوي، وهو بذلك يدخل قائمة المبدعين الذين غادروا الحياة وهم في سن الشباب وتوفوا مبكرين، وتعود قصة وفاته إلى حكاية غريبة إلى حد ما، فعلى الرغم من كونه طبيباً، ويدرك جيداً خطورة الانتقال نحو المناطق الثلجية الصاقعة دون التهيؤ الكامل لهذه الرحلة، فقد قرر أن يخوض تلك المغامرة الجريئة والشاقة والمحفوفة بالمخاطر، كانت خطة الرحلة أن يقطع بعربته المتهالكة مساحات شاسعة من الأراضي الروسية تمتد ما بين موسكو إلى جزيرة سخالين في أقصى الشرق الروسي، متجاوزاً بذلك صحراء سيبيريا الثلجية كاملة، وقد اعتبر بعض المؤرخين الذين تناولوا سيرة تشيخوف أن هذه الرحلة الشاقة كانت بمثابة الانتحار، لقد دفعه ذلك الشغف العارم الذي يهيم داخل روحه الإنسانية أن يستقصي أحوال الناس في تلك الجغرافيا النائية، ليقوم بدراسة سوسيولوجية فريدة، لكن صدره الضعيف لم يتمكن من مقاومة موجات الصقيع الباردة، فأصيب بمرض السل الرئوي الذي كان السبب الرئيسي في رحيله المبكر عن الدنيا، وعندما أصبح طريح الفراش وساءت حالته الصحية، كانت والدته تقف على رأسه وتشجعه للوقوف ثانية، وتقول له : هيا انهض، أيها القوي، لا تستسلم للموت أبداً، وقد ظل يحاول الصمود من أجل أمه لكن الموت كان أسرع إلى اختطف روحه إلى السماء، تقول بعض الروايات أنه أصيب بمرض السل في ألمانيا، ففي صيف عام ١٩٠٤م، استيقظ في جنح

الليل وللمرة الأولى في حياته طلب استدعاء الطبيب، وعندما جاءه الطبيب لم يستطع أن يعمل له شيئاً أمام حالته المتدهورة، فجلس تشيخوف على سريره وبابتسامةٍ شديدة نظر إلى الطبيب، وقال له بالألمانية – على الرغم من أنه لم يتكلم بها من قبل مطلقاً -: إيش شتيربي، وترجمتها: إنني أحتضر، ثم رقد في هدوء على جانبه الأيسر، وحينها غادر الحياة طبيب الأدب وقصاص الإنسانية، وكاتب العالم، وأفضل ناثري التاريخ على مر الدهور والأزمان كما يرى بعض النقاد.

لقد جاء تشيخوف الفنان إلى الدنيا حاملاً رؤية جديدة في عالم الأدب، ترتكز رؤيته على فن الفكاهة المكثفة في الكلمات اليسيرة، والسخرية الكوميدية اللاذعة تجاه تناقضات المجتمع، ويرى بعض النقاد أن تشيخوف قد رسم بأدبه الفكاهي علامة فارقة ليس في الأدب الروسي وحده، وإنما في الأدب العالمي بشكل عام، ولو أردنا أن نختار عنواناً ملائماً يميز فن تشيخوف القصصي فهي إنسانيته الصادقة، وتعاطفه مع الناس على كافة طبقاتهم الاجتماعية، ويكفي دلالة على هذه الصورة تعاطفه حتى مع الشخصيات التي كان يهاجمها، فتلمح من بين ثنايا كلماته وعباراته صورة تناقضية تجمع بين الهجوم الناقد والتعاطف الإنساني في نفس الوقت، هذه العبقرية النادرة في الكتابة الأدبية لا تجدها إلا في قامة متميزة استثنائية اسمها أنطوان تشيخوف، وللقارئ الكريم أن يتخيل أنه قد ترك هذا الإرث الأدبي الكبير وقد توفي في سن الأربعين، فكيف لو قدر لهذا الأديب أن يعيش حياة طويلة!

يقول الكاتب والقاص الكبير أحمد الخميسي: لقد كان الروائي الفرنسي جورج ديهاميل يعتبر أنّ (الأسلوب هو الكاتب)، أي أن الأسلوب يعكس مجمل وسائل الأديب وطرقه ورؤاه بل وروحه أيضاً، بهذا المعنى العام أثر أنطوان تشيخوف في

أسلوبي، أي في إجمالي ما كتبته من قصص بل ومن مقالات، الآن عندما تقرأ تشيخوف وتتمعن في وسائله الأدبية، في طريقة كتابته للقصة، ستجد أن كل تلك الطرق أصبحت مفهومة ومعروفة واستفاد ويستفيد منها الكثيرون حول العالم، لكن الشيء الذي لا يتكرر داخل كل إنجازات تشيخوف هو روح ذلك الكاتب، يمكن لأي أديب أن يتمكن من الأدوات التقنية لدى تشيخوف لكنه لن يستطيع مهما فعل أن يستعير روحه التي لا تتكرر، يمكنك أن تتعلم منه كيف تكتب القصة، لكنك لن تتعلم أبداً كيف تشعر بآلام الآخرين بهذه الرهافة والدقة ما لم تكن هذه الرهافة سمة من سماتك الأصيلة، لقد ترك أنطوان تشيخوف في نفسي وفي أسلوبي أثراً لا يُمحى، إنه القائل: (الإيجاز أخو العبقرية)، وهو القائل في مسرحية (الخال فانيا): في الإنسان لا بد أن يكون كل شيء جميلاً: وجهه وملابسه، روحه وأفكاره)، وهو القائل: ثمة موهبة أكبر من كل المواهب هي حب الناس، لقد أثر فيّ تشيخوف عموماً، بالتزامه الدائم بالعطف على الناس حتى الذين لا تخلو نفوسهم من النقائص، لقد كان متيماً بالطبيعة والبشر، ومهموماً بعمق وأسى بمستقبل البشرية ومصيرها، وعندما كنت في روسيا لم أزر من بين مدافن الأدباء العظام كلهم سوى مدفنه لأقدم له زهرة من القلب، وأشكره في سري على حياته الثرية القصيرة.

الطبيب الذي ترأس تحرير الصحافة السعودية

هو الدكتور عبد الله المناع، طبيب الأسنان الذي ترأس تحرير ثلاث صحف ومجلات سعودية، هي البلاد واقرأ والإعلام، فبعد تخرجه من الثانوية، تم ابتعاثه إلى الخارج لدراسة الطب، وبعد عودته من البعثة عُيّن مساعداً لمدير مستشفى باب شريف في جدة، ثم مديراً عاماً منتدباً للشؤون الصحية في الطائف، وقد ساعده عمله الطبي بالتعرف على الكثير من خبايا المجتمع ومشاكله، وهو يقول عن نفسه في تلك الفترة: لقد ملأت تلك الأيام جعبتي بالأحداث، وأطلعتني بذلك أنني لا أحب الكذب والاختلاق والتضليل وصحافة الإثارة الخادعة.

يرى الدكتور عبد الله مناع أن ثنائية الجمع بين مشرط الطبيب وقلم الكاتب ثنائية تاريخية معروفة تمتد بامتداد التاريخ الإنساني المعاصر، أي منذ أن أصبح في العالم جامعات وخريجون من كلياتها، فإبراهيم ناجي وأحمد زكي أبو شادي ويوسف إدريس وسومرست موم وصلاح الدين حافظ كلهم خريجوا كليات الطب، ولكنهم اشتهروا ونبغوا وأبدعوا في الأدب، فالصلة تاريخية بين قلم الكاتب ومشرط الطبيب، أما الوصل بينهما فيتمثل في الانتقال من الخاص إلى العام، فمشرط الطبيب يعالج حالات مرضية بعينها، بينما قلم الكاتب يتوجه إلى المجاميع يتحدث إليها مرة واحدة ويتحدث عنها ألف مرة.

امتاز الدكتور عبد الله مناع بلطافته ووداعته وهدوئه في تعامله، وكلمته الموجزة في النقاش والحوار مع المحررين، يتبسط في الحديث أثناء الحوار، ويستشير ويأخذ برأي الأغلبية في شؤون الصحيفة أو المجلة كما ذكر ذلك عدد من الموظفين

الذين عملوا تحت إدارته، فهو لا يفرض رأيه على أحد، كما أنه لا يعرف كلمة إلا أنا في المجلة، ولذا اتسم الجو الذي عايشه في المجلة بالديمقراطية والتسامح والتعاون بين الموظفين.

وهنا نتوقف قليلاً عند هذه السيرة، فهو ليس طبيباً وأديباً فحسب، وإنما هو إداري محنك ومن طراز فريد، يقود المنشأة وسط أجواء من المحبة والود، وهذه الإدارة النادرة لا يقتدرها إلا الأفذاذ من الناس، فقد كان الدكتور المناع رائعاً على كل المقاييس، ويعرف يومها الشيء الذي لم يكن يعرفه المراسلين والمحررين عن عملية النشر، أو الخطوط التي يمكن تجاوزها لهذا أو ذلك الموضوع، أما درجته في الكتابة فلا شك أنه كاتب رائع يملك من الكتابة ناصيتها، ما جعله في مصاف الكتاب الكبار في زمانه من أمثال الدكتور حسين مؤنس وأنيس منصور ومصطفى أمين، ذوو الخبرة الكتابية.

يعتبر الدكتور المناع أنّ النجاح الذي حققه في مسيرته الصحفية ليس نجاحاً له وحده، وإنما له ولزملائه الذين عملوا معه في البلاد واقرأ والإعلام، والذين التقوا معه على أنّ الصحافة إنما تقوم على مبدأ أساسي وجوهري هو أنّ من حق الإنسان أن يعلم الحقيقة، ولذا كان قلمه يحظى بتقدير النقاد ومحبتهم له، فهو يدافع عن منهجيته في الكتابة وإدارة الصحف، فقد كان يأخذ وقته بالكامل في الكتابة رغم إلحاح سكرتارية التحرير واستعجال المطبعة، ولمعرفتهم بحرصه التام على الكمال – المستحيل طبعاً – فقد كانوا يعتقدون بأنه يأخذ ذلك الوقت الطويل حتى يجود كتابته ويتقنها، ويقول بأن ذلك صحيح إلى حدٍ ما، ولكن الأصح منه أنّ الوقت كان يضيع منه في اختيار الموضوع الذي يمكن أن يكتب عنه بثلاثية الحرية

والصراحة والوضوح، لقد كان ذلك ديدنه في النشر للآخرين، كما هو في الكتابة بالنسبة له.

كان قلم الدكتور المناع يحظى بمحبة النقاد وتقديرهم له كما ذكرنا ذلك من قبل، وقد تعرضت أعماله كلها إلى نقد غلبت عليه صفة الترحيب، أما عن دور النقد في تقديم الأدب، فهو يقول: إنّ النقد وبكل حسرة قد تعرض في فجر أيامه إلى نكسة لم يخرج منها أبداً، ويستشهد بحادثة مؤسفة عندما نشر أستاذ النقاد عبد الله عبد الجبار كتابه النقدي الأول والأهم (التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية) بجزئيه الشعري والنثري، فقد همش الكتاب، وحوصر إلى درجة أنه غاب عن أيدي حتى كبار المثقفين والأدباء داخل الوطن العربي، كما يرى الدكتور المناع أن هذا الكتاب عظيم القيمة في شموليته، وفي دراسته لأدب الجزيرة العربية وأدبائها، وإذا تحدثنا عن أسلوب المناع في الكتابة وطريقة عرضه للمواضيع، فكتاباته السياسية والاجتماعية والفنية تأتي بالتحليل الصادق والرؤية الواضحة في سبر أعماق مواضيعه التي يكتب عنها، مبيناً الشواهد والأدلة لتأتي كتابته ذات مصداقية وشفافية، فهو دائماً ما يتألق ويتأنق في رسم كلماته وحروفه، بل إنه ينتقي العبارة الأنيقة الرشيقة التي تشوبها أحياناً السخرية الفكهة، تلك الميزة التي كان يتحلى بها الكاتب الراحل عبد القادر المازني.

ويقول عنه أحد الصحفيين الذين تتلمذوا على يديه: لقد هجر الدكتور المناع مهنته الطب إلى المهنة التي انساقت لها رغباته وميوله وهوايته للتحول إلى مرحلة الاحتراف كما هو حال الدكتور إبراهيم ناجي صاحب قصيدة الأطلال الشهيرة التي شدت بأنغامها السيدة أم كلثوم، والتي أصبحت أيقونة فنية للغناء العربي الحديث،

مثلما هي مع صاحب الجندول علي محمد طه، فلو كان الأستاذ المناع في عيادته دون أن يشارك في ثقافتنا الأدبية والصحفية ودون أن يكتب مقالاته الرائعة على متن الصحافة والمجلات لما عرفه سوى المرضى الذين يزورونه في عيادته! فالمناع حين تراه لأول مرة يتراءى لك أنّ هموم الدنيا على عاتقه، وأنّ الحزن قد أخذ منه ما أخذه، ولكن حينما تجلس إليه وتبدأ بالحديث معه تحس أن قلبه مثل صحراء الدهناء، وروحه مرحة برحة، فهو صاحب نكتة وقفشة وطرفة.

يعتقد المناع أنّ الصحافة قد منحت له شيئاً كثيراً وكبيراً وجليلاً، فقد منحته اسماً وقيمة ومكانة، واحتراماً من المسؤولين، ومحبة حميمية من القراء والمتابعين، أما أشهر أعماله الأدبية، فهي رواية بعنوان (على قمم الشقاء)، ومجموعتان من الخواطر القصصية هما (لمسات) و(أنين الحيارى)، بالإضافة إلى أنه كتب عدة مسلسلات رائعة للإذاعة تحت عنوان (ذكريات رمضان)، وقد توفي رحمه الله تعالى في ٢٣ يناير ٢٠٢١م.

إبراهيم ناجي، أمير الرومانسية

عرف الدكتور إبراهيم ناجي في الأوساط الأدبية بأمير الرومانسية، فقد تخرج في كلية الطب وتخصص في العيون وظلّ في مهنته إلى أن توفاه الله وهو ممسك بالسماعة يعالج مرضاه ومرتاديه، وأما قصته مع الشعر فتبدأ من طفولته عندما كان يحفظ دواوين الشعراء القدماء وشعراء الرومانسية الأوروبيين المعاصرين، فأخذ من الأولين لغتهم وأوزانهم وقوافيهم وأخذ من الأوروبيين أفكارهم ونهجهم ومعانيهم.

بدأ كتابته للشعر مترجماً عن الفريد دي موسييه وتوماس مور وبودلير، وأخذ ينشرها في الصحافة حينها، فلاقت استحسان القراء والنقاد على حد سواء، ولكنه حينما بدأ ينشر قصائده الشخصية وإبداعاته الذاتية شن عليه جهابذة النقاد حينها - من أمثال العقاد وطه حسين - لاذع نقدهم عليه، وصبوا جام غضبهم على نتاجه الأدبي، ولأنه الرومانسي الفنان فقد ترك عليه هذا النقد أثراً سيئاً في نفسه لم يتخلص منه بقية حياته.

يعتبر إبراهيم ناجي أحد أعمدة الاتجاه الرومانسي في الأدب العربي الحديث، وهو عضو في جماعة أبولو الشعرية، كما اختاره الأدباء حينها كرئيس لرابطة الأدباء المصريين في أربعينيات القرن المنصرم، وهذا إن دل فإنما يدل على هذه المكانة الرفيعة التي تبوأها ناجي في أدبه وشعره بين أنصار الآداب الحديثة، بينما ظلّ منسياً لدى العديد من النقاد ولم يحصل على مكانته الحقيقية إلا بعد مماته، فقد صدرت عنه العديد من البحوث والدراسات التي تناولت شعره بشيء من الدراسة الجادة

والإنصاف وإعطائه مكانته اللائقة به بين شعراء العصر الحديث، ولا يحق لنا أن نختم هذا الحديث عن شاعر الرومانسية الأول في الأدب العربي دون أن نتطرق إلى ملحمته الشهيرة (الأطلال)، والتي تعد بدون ريب أو شك إحدى أهم القصائد الرومانسية العربية في العصر الحديث، وقد كتبها خلال فترات متعاقبة من حياته، وهي عبارة عن ملحمة شعرية طويلة.. بطلاها اثنان حبيبان، ومحورها الرئيسي الحب العذري البريء، يقول عنها الدكتور غازي القصيبي: هذا كله هو المظهر الخارجي للقصيدة، أما الحقيقة - فهي أن هذه القصيدة، ككل قصيدة خالدة، تلخص في أبيات ما يحتاج الناثرون إلى مجلدات لشرحها، وهي تعكس قوس قزح متكاملاً من المشاعر الإنسانية المتناقضة، من سعادة وشقاء، قنوط ورجاء، ذل وإباء، وأبطال القصيدة ليسا ناجي وحبيبته، بل كل اثنين أضناهما الحب، ولكن الأمر الذي منح القصيدة بعداً جماهيرياً في الوطن العربي هو غناء أم كلثوم لها في منتصف ستينيات القرن الماضي، ولإنصاف التاريخ فقد أعطى الملحن رياض السنباطي كل مهاراته التلحينية وإبداعاته الفنية لهذه القصيدة حتى ظهرت بهذه الصورة الأسطورية.

وقد صدرت عن الشاعر إبراهيم ناجي بعد رحيله عدة دراسات هامة، منها: إبراهيم ناجي للشاعر والأديب صالح جودت، وناجي للدكتورة نعمات أحمد فؤاد، كما كتبت عنه العديد من الرسائل الجامعية في العديد من جامعات العالم، وبحسب الناقد أحمد زياد المحبك: يعبر الشاعر إبراهيم ناجي في معظم شعره عن نزوع فردي رومانسي حزين، فشعره وجداني ذاتي، يكاد يكون خالصاً للحب والوجدان، بل للقهر والحرمان، فهو يعبر عن حب محروم، ويصدر عن رؤية

متشائمة، ونظرة حزينة، وروح مكتئبة، أما الناقدة رقية رستم فتعلق على تشاؤم ناجي: لقد عاش الشاعر في القرن العشرين وظل متشائماً بكل مظاهر الحياة، فهو يتشاءم بالدنيا وما فيها، وبالحب والهوى حيناً آخر، ومرجع ذلك يبدو إلى أن الشاعر الرومانسي يجد سعادته في ظلال الحب باعتباره عاطفة يمكنها أن تضم الكون بأسره، ولذا فهو دائماً أبداً حزيناً، يبحث عن عالم المثل الذي ينشده.

وله قصيدة أخرى رائعة أثنى عليها النقاد وتحدثوا عنها بإعجاب شديد، يقول الناقد الكبير محمد مندور في معرض تعليقه على القصيدة: هذه القصيدة التي أحسبها من روائع النغم في الشعر العربي الحديث على الرغم من كونها تندرج تحت فن عربي قديم، وهو فن بكاء الديار والأطلال، ومع ذلك فقد امتازت بالجدة والجمال، وقد علق على القصيدة أيضاً الناقد الكبير شوقي ضيف بقوله: هذه القصيدة تشبه كل قصائد ناجي، فهي رومانسية خالصة، ويكفي للدكتور ناجي قيمته الفنية الأدبية أنه أخرج الشعر العربي من باب الرؤية والخيال إلى باب الحقيقة والتجربة الواقعية، وللدكتور ناجي عدة دواوين مطبوعة، من أشهرها: وراء الغمام وليالي القاهرة وفي معبد الليل والطائر الجريح وغيرها، كما صدرت أعماله الشعرية كاملة بعد وفاته في عام ١٩٦٦م عن المجلس الأعلى للثقافة والفنون.

طبيب يكتب أشهر قصص الجيب في العالم العربي

ولد الدكتور نبيل فاروق رمضان عام ١٩٥٦م في مدينة طنطا المصرية، حيث نشأ فيها وترعرع بين ربوعها وأحيائها، وهو ينتمي إلى عائلة متوسطة الحال، وقد بدأ اهتمامه وشغفه الشديد بالقراءة واضحاً منذ طفولته، حيث كان يقرأ الكتب بشغف ونهم ويتصفح الروايات بولع شديد، وكان عظيم الحرص على اقتناء الجرائد والمجلات، كما كان والده يشجعه على ذلك، وهنا نتوقف قليلاً حول هذه العلاقة، فمن خلال تتبع مثل هذه الحالات الإبداعية نستشف أن ثمة علاقة تشجيع وتحفيز تتم للمبدع في بداية مسيرته الإبداعية، سواءٌ من الوالدين أو المدرسة أو صديق، وهذا ما يطلق عليه بالبيئة الإبداعية، فلا إبداع بدون حاضنة تحفز الإبداع بصورة أو بأخرى .

بدأ الدكتور نبيل فاروق مشروعه الإبداعي بالكتابة منذ صباه، وبالتحديد منذ أن كان في المرحلة الإعدادية، أما في المرحلة الثانوية فقد التحق الدكتور نبيل فاروق بجماعة الصحافة والتصوير والتمثيل المسرحي في مدرسته، كما تفتحت شهيته أكثر للأدب والفن، وتعرف هناك على مدارس الفن وأنواعها، فبعد حصوله على شهادة الثانوية العامة بنجاح، التحق بكلية الطب في طنطا وتخرج منها بدرجة بكالوريوس في الطب والجراحة عام ١٩٨٠م، وبعد تخرجه بعام واحد وكان عمره ثلاثة وعشرين عاماً فقط، كان قد حصل على جائزة من قصر ثقافة طنطا عن قصة

النبوءة والتي كانت القصة الأولى في مسيرته الإبداعية من خلال سلسلة كوكتيل ٢٠٠٠.

في عام ١٩٨٢م انتقل إلى قناة السويس في دورة تدريبية لمدة شهرين، وبعد نجاحه في الامتحان الإداري انتقل ليبدأ عمله كطبيب في بلدة "أبو دياب" والتي كانت بداية التحول الجذري في مجرى حياة الدكتور نبيل فاروق ومسيرته الأدبية خلال عامي عام ١٩٨٣م – ١٩٨٤م، عندما قرأ إعلاناً في مجلة عالم الكتب، حيث طلبت المؤسسة العربية الحديثة كتاباً لقصص الخيال العلمي، فأرسل لهم رواية أشعة الموت، وقد فاز بها من بين أكثر من ١٦٠ متسابقاً، وقد نشرت في العام التالي كأول رواية في سلسلة ملف المستقبل الشهيرة، ولم يتجاوز عمره آنذاك ال٣٠ عاماً فقط، وفي نفس الفترة، كان الحدث الجذري الثاني في حياته، عندما قابل السيد أ.ص الشخصية الأسطورية في جهاز المخابرات المصرية، والبطل الذي كان الدكتور نبيل فاروق يبحث عنه، والذي استوحى واقتبس منه شخصية أدهم صبري في سلسلة رجل المستحيل، السلسلة التي سلبت كيان وقلوب الشباب والشابات، فحطمت الأرقام القياسية في المبيعات، وحققت نجاحاً منقطع النظير من الخليج إلى المحيط .

في عام ١٩٨٥م، قرر الدكتور نبيل فاروق أن يعتزل مهنة الطب ويتفرغ كلياً للكتابة كمهنة كمهنة رئيسية له في حياته، وفي عام ١٩٩٠م انتقل للعيش في منشية البكري في القاهرة، وبدأ يكتب أعمالاً أخرى، نذكر منها رباعية أرزاق، وهي ملحمة مصرية درامية مؤثرة في أربعة أجزاء كاملة، وقد حققت نجاحاً

منقطع النظير لدرجة دفعت بالمنتجين لتحويلها إلى مسلسل تلفزيوني، كما كتب سلسلة الأعداد الخاصة، والتي هي امتداد للسلاسل السابقة، رجل المستحيل، وملف المستقبل، وسلسلة كوكتيل ٢٠٠٠، والأخيرة هي السلسلة الأحب إلى قلبه لأنها وكما ذكر شخصياً، تمنحه الحرية لكتابة ما يرغب من أفكار وخواطر وروايات بوليسية وعلمية واجتماعية وحتى مسرحية، وكل ذلك في كتاب واحد.

كما كتب الدكتور نبيل فاروق سلاسل فارس الأندلس، وسيف العدالة، ومغامرات ع * ٢ وزوم، وتلك الأخيرة اعتبرها من أصعب السلاسل التي كتبها، وذلك لمدى الجهد الكبير في جمع مادتها وتصنيفها وصياغتها بأسلوب مبسط وجذاب، كما شارك الدكتور نبيل فاروق في سلسلة زهور فكتب عدة أعداد قبل أن يتوقف، كما أخرج أيضاً سبعة أعداد فقط من سلسلة بانوراما، والتي توقفت بعد ذلك، كما ساهم أيضاً بالمشاركة في سلسلة روايات عالمية للجيب.

للدكتور نبيل فاروق، أيضاً مشاركات مثيرة للاهتمام في أكثر من مجلة ودورية عربية، نذكر منها مجلة الأسرة العصرية، ومجلة الشباب، وملحق صبيان وبنات الذي يصدر مع صحيفة أخبار اليوم، وله مشاركات جميلة في مجلة باسم، وتتنوع هذه المشاركات ما بين الحلقات المسلسلة لخفايا عالم المخابرات، والقصص الحقيقية، وصولاً إلى المقالات العلمية بشتى مجالاتها لكنها جميعاً تشترك في أسلوب الكاتب المشوق وصياغته المبدعة لها، والتي تجذب الكبير والصغير على حد سواء، لمتابعتها باستمرار، وللدكتور أيضاً مجموعة كبيرة من الكتب المتنوعة،

وكذلك المجلة التي أنشأها شخصياً بالتعاون مع مجموعة من الشباب الموهوبين في الكتابة.

وفي عام ١٩٩٨م، فاز الدكتور نبيل فاروق بالجائزة الأولى في مهرجان ذكرى حرب أكتوبر عن قصة جاسوس سيناء أصغر جاسوس في العالم، وقد قدم قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة فيرجينيا الأمريكية بإنشاء موقع خاص للدكتور نبيل فاروق، والذي اعتبره المتخصصون أحد أفضل الكتاب في الشرق الأوسط، وتقول إحدى الدراسات التي ثبتت صحتها من خلال تتبع الحالات الإبداعية أن العباقرة يتمتعون بتعدد المواهب وتنوع الهوايات، والدكتور نبيل فاروق يهوى رياضة تنس الطاولة ولديه موهبة رائعة في ممارستها، كما يشاهد الكثير من الأفلام السينمائية العربية والأجنبية، مفضلاً أفلام الخيال العلمي الراقية، وتلك التي تحمل نظرة فلسفية خاصة، أو نظرة اجتماعية صادقة، وفي كثير من الأحيان تقفز فكرة ما في رأسه فيسارع إلى تدوينها فوراً على الورق، أو بتسجيلها على جهاز تسجيل صوتي صغير في جيبه، كما يمتاز الدكتور نبيل فاروق بالتواضع وشخصيته الطيبة المحبوبة، مما أدى إلى اكتسابه العديد من الصداقات والعلاقات العامة، سواءً في إدارة الصحف العربية والمصرية أو غيرها من المؤسسات الحكومية والطبية والعلمية والأدبية، ويعتبر الدكتور نبيل فاروق أحد أفضل وأشهر كتاب الخيال العلمي والحركة في الوطن العربي على الإطلاق، وبات بأسلوبه الشيق والمميز على مفارق في تاريخ الأدب العربي الحديث، وتبقى رواياته وقصصه تحفة فنية رائعة، تستمتع بقراءتها جميع الأجيال.

عبد السلام العجيلي، الطبيب متعدد المواهب

الاهتمام بالميول وتنشئة الرغبات داخل الإنسان أمر مهم لاكتشاف الموهبة وتفجير الطاقة الإبداعية فيه، وهذا هو النموذج الدكتور السوري عبد السلام العجيلي، وهو ممن تنوعت إبداعاتهم في اتجاهات مختلفة، يجمعها الأصالة والتميز في الإنجاز، قال عنه الشاعر الكبير نزار قباني: إنه أروع بدوي عرفته الصحراء وأروع صحراوي عرفته المدينة، بينما الدكتور يوسف إدريس قال عنه بأنه رائد القصة القصيرة العربية، ولو حاولنا أن نعدد النعوت والأوصاف التي أطلقت على الكاتب السوري عبد السلام العجيلي، لامتد بنا الوقت والمساحة، وهي صفات تؤرخ فعلاً لتاريخ هذا الرجل الطبيب والأديب، ما بين الكتابة والعمل السياسي ومهنة الطب التي مارسها طيلة حياته، مثل ما هي تؤرخ لمكانته في الأدب العربي الحديث.

ولد الدكتور العجيلي في مدينة الرقة التي تقع على ضفاف نهر الفرات عام ١٩١٨م، لكن الوثائق التي كان يحملها الراحل كانت تؤرخ ولادته عام ١٩١٢م، وقد تربى على يد جده الصارم تربية عسكرية كما يذكر، وقد تلقى تعليمه الابتدائي في الرقة، وحمل الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٩م، ثم مضى إلى مدينة حلب، لكن المرض أعاده إلى الرقة ليقضي أربع سنوات في قراءة كتب التاريخ والدين والقصص الشعبي، ودواوين التراث الشعري، ثم تابع دراسته في حلب ودمشق ليعود إلى الرقة طبيباً، ويشرع بفتح باب عيادته فيها منذ ذلك الحين حتى تجاوز ال٨٠ عاماً، ولم يغلق بابه أبداً، إلا أن يكون في واحدة من رحلاته الكثيرة من دون أن ننسى فترتي

النيابة والوزارة، وهنا يلاحظ بقوة أن العجيلي ظل يتحوط على حياته الشخصية كما يتحوط على حياته السياسية، فلا يبقى للمرء إلا ما يقدر من سراب السيرة في بعض كتاباته، ولا يخرج عن ذلك إلا النزر الذي ضمه كتابه أشياء شخصية.

لقد ظلت الكتابة واحدة من أسرار العجيلي، حتى حمل البكالوريا، فقد نشر عام ١٩٣٦م قصته الأولى نومان بتوقيع عين عين في مجلة الرسالة المصرية المرموقة، كما نشر بأسماء مستعارة قصصاً وقصائد وتعليقات في مجلة المكشوف اللبنانية، وفي سواها من الدوريات الدمشقية، إلى أن فضح السر سعيد الجزائري.
ويبدو أنّ حياة العجيلي الدمشقية طالباً، ومن بعد نائباً، قد كانت بالغة الثراء، ففي عام ١٩٤٣م فازت قصته حفنة من دماء بجائزة مسابقة القصة التي نظمتها مجلة الصباح، وفي عام ١٩٤٥م شارك في رحلة إلى مصر، كما أنجز في هذه السنة مجموعته القصصية الأولى بنت الساحرة، والتي سيتأخر صدورها إلى عام ١٩٤٨م، وفي هذا العام، نظم مع عدد من الظرفاء والكتاب (كتاب عصبة الساخرين) من بينهم سعيد الجزائري وعبد الغني العطري، وكان العجيلي من اقترح للعصبة اسمها.

وفي عام ١٩٤٨م، استقال عبد السلام العجيلي من عضوية البرلمان، والتحق بجيش الإنقاذ كطبيب ومدافع عن الحق العربي في فلسطين، وفي حرب تشرين زار الجبهات التي دار فيها القتال، وقابل المتحاربين، واستمع إلى حكايتهم، ومن خلال ذلك كتب روايته (أزاهير تشرين المدماة) التي كان يتمنى لها أن تتحول إلى فيلم سينمائي، ولطالما ردد العجيلي أن الأدب بالنسبة إليه متعة وهواية، بالكاد يبقى لها من وقته القليل الذي يفضل عما تقتضيه مهنة الطب والرحلات والأسرة، وإدارة

إرث أبيه، وكذلك السياسة والشأن العام الاجتماعي والسياسي، وها هو يقول: إنني لا أنظر إلى الكتابة الإبداعية الأدبية كعمل، بل كنوع من أنواع السلوك، وهو لا يعني بذلك أي انتقاص من الاحتراف، غير أنّ العجيلي بعد ذلك كله قد كتب وبغزارة شديدة، القصة القصيرة والمقالة والرواية، وهو الذي كتب في بداياته الشعر والمسرحية، كما كان لأدب الرحلات وللمحاضرات منه نصيب كبير، فمتعة الأدب إذاً هي التي حملت العجيلي على الكتابة فيه، وشغفه بهذه المتعة والهواية، هي التي جعلت الكتابة سلسة بين قلم العجيلي، ومرناً في وجدانه وفكره، مما أكسبه الأصالة في كتاباته الموضوعية، وفي تناوله للأحداث حتى اكتسب احترام القراء وتقديرهم لأدبه وثناء النقاد عليه.

من تقنيات القص الروائي، جرب العجيلي الرسائل والمذكرات والأحلام والمونولوج والتفريع، ولا إن كان ذلك يؤشر بخاصة إلى الكلاسيكية في القص، ومنه تقنيات السرد التراثي العربي، فليس يخفى ما كان للعجيلي من منتج جديد في هذه الكلاسيكية، ومن هنا جاء وصف القصة العجيلي بالكلاسيكية الجديدة، أو النيوكلاسيكية، وتلك هي واحدة من بدائع ما كتب، إنها قصة سالي التي يرمح فيها الفضاء بين باريس وستوكهولم، ومضرب العشيرة في البادية، فتشرع بذلك القوة على شاغل آخر، يتعنون بين الشرق والغرب، ولسوف تشغل هذه الإشارة قصة رصيف العذراء السوداء أيضاً، وهي القصة التي تضاعف فيها من بين قصص العجيلي التباس التجنيس بين القصة والرواية، وبين القصة الطويلة والرواية القصيرة، كما تتسرب الحكاية إلى ما يكتب العجيلي من القصة، وتتلبس بها، والأمر نفسه يبدو فيما كتب من أدب الرحلات، ومن المقالة، والأمر هو كذلك

فيما كتب من الرواية والمقامة، ولعلّ جماع ذلك يؤكد ما أطلقه النقاد عليه بلقب الحكواتي، إضافة إلى ألقاب الروائي والقاص والمحاضر والرحالة والمثقف، من دون أن ننسى لقبه الأساسي، الطبيب وحتى السياسي، ومن دون أن ننسى أيضاً الشاعر وكاتب المقامة.

بكل ما تقدم يعتلي عبد السلام العجيلي مكانته الكبرى في عالم الأدب والإبداعي في ثقافتنا العربية، وهو يستحق أن يشبه بأساتذة فن الرواية الكلاسيكية في الغرب، فأثر عبد السلام العجيلي الذي انطلق لمدة٦٠ سنة من دائرته الصغرى الرقة، سرعان ما يدور في الكتابة وفي الحياة الثقافية والعامة في الفضاء السوري بخاصة، وفي الفضائين العربي والعالمي عامة.

إبداعات متنوعة عند أستاذ الطب النفسي

مثال عصري على تجمع الإبداعات المتنوعة في شخصية واحدة، هو الدكتور العالم الأديب المثقف الروائي يحيي الرخاوي، فهو شخصية مركبة بحق، من الصعب أن ندرجها تحت تصنيف واحد، فهو لا يكتفي بدوره المهني والعلمي كأستاذ للأمراض النفسية لكلية طب قصر العيني، ولكنه أوسع من هذا الدور ليصبح مشاركاً مهماً في الحياة الثقافية المصرية والعربية.

لقد اشتغل الدكتور يحيي الرخاوي في قضايا الأدب والفن ووضعها تحت مجهر الطب النفسي، وكانت له في ذلك آراء تتسم بالجراءة والصرامة والموضوعية في الوقت نفسه، ورغم أنه يعد من الشخصيات العلمية البارزة، ومن مفكري مصر المعدودين، فإنه طرق باب الشعر، فأصدر عدة دواوين هي سر اللعبة، والبيت الزجاجي، والثعبان، وأغوار النفس، وهو شعر بالعامية المصرية، وقد نالت روايته التي صدرت في جزأين، تحت عنوان المشي على الصراط جائزة الدولة التشجيعية للآداب عام ١٩٧٩م.

ولد الدكتور يحيي الرخاوي في عام ١٩٣٣م، وقد عمل مدرساً بكلية طب قصر العين، ومن أهم مؤلفاته في مجال علم النفس، علم النفس تحت المجهر، ومبادئ الأمراض النفسية، وعندما يتعرى الإنسان، ودراسة في علم السيكو باثولوجي، كما صدر بجانب مؤلفاته الأدبية التي ذكرناها العديد من الكتب الأخرى، أهمها

ترحالات الرخاوي في ثلاثة أجزاء، وهي من أدب المكاشفة ما بين السيرة الذاتية وأدب الرحلات.

يعتبر يحي الرخاوي قارئاً نهماً للكتب على كافة أشكالها وأنواعها، فبالرغم من أنه مهتم بالكتب الطبية والعلمية، وله اهتمامات متوقدة في كتب الروايات الأدبية، إلا أنه يقرأ كتب التراث القديمة ويحرص على اقتنائها والاستفادة منها، ويقول بأن الدكتور محمد أحمد شاكر كان له فضل النصيحة عليه في مقتبل عمره بهذا الاهتمام وزرعه فيه، كما أنّ الدكتور يحي الرخاوي له آراؤه المعروفة تجاه التعليم النظامي، فهو يقول: إنّ ما يجري في التعليم قبل الجامعي، ثم التعليم الجامعي، هو إنذار بالدمار والضياع، فالتعليم في بلدنا مصر يبدأ من الابتداء بالحشر المفرط للعلوم والمعلومات التي لا قيمة لها، ويصطبغ طول الوقت بالغش الجماعي، وأحياناً بالغش الرسمي والرشاوى للناس، والإعلام بالامتحانات السهلة، بدعوى عدم الخروج عن المقرر، وهات يا مجاميع مرتفعة في نهاية العام الدراسي، إنّ الغش أصبح له جمعيات أهلية، جمعية الغش التعاوني الأهلي، يعاونها الحكم المحلي بتعليمات مركزية، ثم ترى العجب، ونحن ننتقل إلى جامعات المذكرات دون الاطلاع الانتقائي.

والدكتور الرخاوي ضد تدريس الطب باللغات الأجنبية، بل إنه بلغ به التحدي، أنه كتب علم السيكوباثولوجي شعراً بالعامية، وليس رجزاً مثل ألفية ابن مالك، ثم قام بشرح هذا الديوان الذي أسماه سر اللعبة، ليثبت قدرة اللغة العربية شعراً ونثراً في التعامل مع العلوم الطبيعية، فكان مؤلفه الأساسي دراسة في علم السيكو

باثولوجي شرح ديوان سر اللعبة، وهو يؤكد ذلك بقوله: إنّ مرضانا يمرضون بالعربية ويشتكون بالعربية، فكيف أعالجهم وأدرسهم وأشرح حالتهم إلا بالعربية؟ إن عدم استعمال العربية هو تنازل عن الهوية، وتشويه للعقل الوطني والقومي وإجهاض للإبداع، كما أن للدكتور الرخاوي دراسات هامة وأبحاث تستحق الإشادة والتنويه في عدة جوانب مختلفة، وبهذا اعتبره النقاد ثروة قومية يتمتع بمواهب متعددة، إلى جانب أنه شخصية غزيرة العطاء والإنتاج، فإلى جانب عيادته الاستشارية كان يعمل بوظيفة أستاذ الطب النفسي في الجامعة، كما أنه شاعر يقرض الشعر ويرويه كما قلنا من قبل، بالإضافة إلى أنه قاص وروائي، يروي الحكاية من الطراز الأول، والأهم من هذا كله أنه إنسان فعال في المجتمع، وهذا ما يميزه عن غيره من زملائه الأطباء، فتجده يكتب مقالاته الصحفية بصورة منتظمة، ويشارك في برامج التلفاز المتنوعة، فينتقد بعض الظواهر الاجتماعية السيئة في بلاده ويساهم في طرح التنظير الذي يساهم في رفع المستوى التثقيفي للفرد، فكل هذه المواهب المتنوعة والمتجمعة في ذاته لها دلالة على أن للإنسان طاقات هائلة وجبارة إذا أحسن استعمالها ووجهها إلى الجانب الإيجابي، رحم الله الدكتور يحي الرخاوي، فقد كان آية في العطاء الإبداعي.

يزيد الديراوي

عملية الإبداع في الكتابة الأدبية تحتاج إلى ذائقة فنية ومهارة في استعمال أدوات الكتابة، والدكتور يزيد الديراوي يمتلك وبقوة لهذين الشرطين، ولذا كان الإبداع حليفه في أعماله، وقد ولد مبدعنا الدكتور يزيد الديراوي في غزة بفلسطين، وأقام فترة من الزمن بالقاهرة، وقد عمل طبيباً في عيادته بالقاهرة، كما أنه يمارس كتابة الشعر، وقد عمل أيضاً محرراً في مجلات أدبية إلكترونية، وهو عضو مؤسس في رابطة نون للثقافة والحوار، كما أنه عضو في اتحاد كتاب العرب الإلكتروني، وقد نشر أعماله في عدة صحف ومجلات عربية منها مجلة الوطن العربي وجريدة الحياة، ومجلة جهات الأدبية، بالإضافة إلى كتابته في الشبكة العنكبوتية، كما نشر مجموعة من محاورات متميزة مع مجموعة نخبوية من العالم العربي، كما أنه قد شارك في عدة أنشطة أدبية ومحاورات ثقافية في القاهرة.

يرى الدكتور يزيد الديراوي بأن المثقف الحقيقي يجب أن لا يصطدم بالموروث أو التاريخ، بل يجب أن يكون فعالاً في مجتمعه، تظهر آثاره الإيجابية مع الاحتكاك بالواقع، وبأنّ المثقفين الذين أخطؤوا واصطدموا بالتاريخ أو الموروث قد اكتسبوا عداوة المجتمع والمشايخ ورجال الدين، وبأنّ هذا التحول الذي أحدثه في الحراك الثقافي يرجع إلى سببين، وهما: أولاً اعتقاد المثقف الداخلي، وإن كان الأمر لا يخلو من صحة بأنه كائن شفاف أكثر تأثراً بالحدث اليومي من غيره، وثانياً حقيقة وجود وعي تنظيري في المقام الأول لدى كل مثقف يمثل ولو رؤية غير مضطربة لعدد

من المفاهيم التي يجب توفيرها، وعدد من الخطوات التي من الواجب اتباعها لإقامة صورة من المجتمع أو الحياة التي يحلم بها.

الدكتور الديراوي شاعر متميز في إلقائه، وكاتب متمكن من صنعته، ويزيد شخصيته تقديراً واحتراماً أنه دمث الأخلاق وحسن الطباع والسمات، وقد عرف الديراوي بنشاطه المستمر وعمله الدؤوب، وحرصه على الإجادة والإتقان في عمله، سواء الطبي أم الأدبي، ولذا جاءت أعماله بمنتهى الإبداع والروعة، وللدكتور الديراوي فلسفة جميلة حول رؤاه المختلفة في الحياة، وخصوصاً الثقافية منها، وأما لغته التي يكتب بها فهي راقية المستوى، وعذبة اللفظ، وحول رؤيته عن الشعر، فهو يرى أنّ الشاعر مهما اختلف وتقلب على أوتار الحياة، سيبقى يمارس تحويل مشاهد ساكنة أو متحركة تندمج مع عواطفه لتخرج كما نراها، وهذا ما يمارسه الإنسان بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي، منذ بداية تعرفه على الكلام، فالشعر هو الأداة الأولى لعاطفته رغم اختلاف رؤيتي ورؤية غيري، لكن الشاعر في النهاية هو حالة إنسانية.

يقول الدكتور الديراوي أنّ النص لدينا ما زال يقوم على الوجع العربي بشكل أو بآخر، فأمل دنقل وصلاح عبد الصبور وبدر شاكر السياب هم نماذج لذلك الواقع، فنحن في حيرة بين الجمال والكلمات، وكلاهما تحتاجه بنية الإنسان بشتى صورها، ونحن نزف من الجرح ذاته، وإن تعددت الأقلام، كما يقول إن القصيدة محاولة لتخطي اللغة، أو كما قال بول فاليري: إنّ الشعر لغة خلال اللغة والتعبيرات الشعرية، بالمقابل تعيش بمستوى الكلام المتراقص على شفاه البشر، فالكلام يتكاثف

ويترابط ويشمخ في القصيدة كما كتب الدكتور الديراوي الشعر، وقرض أبياته بإبداع وإجادة مثلما أتقن مهنته الطب، وقد صدر له ديوان جميل بعنوان الدور على الغرباء، كان له صدى واسع في الصالونات الأدبية في القاهرة وفلسطين، كما تناولته المنتديات الأدبية والصوالين الثقافية، وكانت قراءات بعض النقاد الديواني في ذلك الوقت عبارة عن توقعات مستقبلية لشاعر رائع، قد يسهم في رسم خطى جديدة للشعر العربي الحديث.

علاء الأسواني ورواية عمارة يعقوبيان

هو طبيب أسنان وأديب مصري، أتم دراسته الثانوية في المدرسة الفرنسية في مصر، ولد في عائلة برجوازية، فقد كان أبوه محامياً وكاتباً روائياً أيضاً، كما حصل الأسواني على شهادة الماجستير في طب الأسنان من الولايات المتحدة الأمريكية من ولاية شيكاغو في جامعة إلينوي، كما أنه يكتب القصة القصيرة والرواية، يقول الدكتور الأسواني عن نفسه وعن ارتباطه بين الطب والأدب: أنا أصلاً كاتب، وقد التحقت بكلية طب الأسنان، وخطت في فترة من الفترات للتحويل منها إلى كلية الآداب، وأذكر أنني فاتحت والدي في هذا الأمر، فلم يقاومني، وكان سبب هذا التحول أنّ رغبتي الأدبية كانت عارمة، لكن تشاء الأقدار أن أكمل دراستي في كلية الطب، وأتعلق بمهنة طب الأسنان، كما يرى الدكتور الأسواني أنّ الطب قد ساعده في الكتابة الأدبية، فهو يقول عن ذلك: إنّ الطب قد ساعدني كثيراً في الأدب، فالعلم يمنحك المنهج الذي تستطيع استخدامه في الأدب، أضف إلى ذلك أن العلاقة بين الطب والأدب قديمة للغاية، وقد درست علم الأنسجة وهذا العلم هو مادة بديعة للغاية، فنحن مثلاً نقوم بتكبير الأنسجة عبر المجاهر العلمية إلى مستويات كبيرة تصل إلى مليون مرة، كما أننا نستطيع من خلال علم التشريح أن نرى معجزة الخالق، وكذلك نسبة الرؤية على حسب الزوايا، ولهذا فهناك علاقة متينة بين الطب والأدب يجمعها الإحساس بالجمال.

وللمعلومية فالدكتور الأسواني هو ابن الأستاذ عباس الأسواني الأديب الصعيدي المعروف، وقد أثرت مكتبة والده على معارفه وثقافته، فهو يقول عن علاقته بوالده

الاديب: إن الموهبة لا تورث، ولكن كل شيء في عباس الأسواني أثر في ذاتي، فأنا نفسي من تأليف عباس الأسواني، وأذكر أنني عند عودتي من المدرسة وأنا طفل، كانت أمي تنبه علي التزام الصمت لأن أبي يكتب، وكنت أرى أبي في حالة مغادرة عن الواقع، فقد كنت ألمحه يحملق في سقف المكتب بين الحين والحين، ثم يعود إلى العناق بين قلمه وأوراقه، على خلفية من الموسيقى الهادئة، وفنجان القهوة أمامه، تلك الصورة جعلتني أحس بقدسية الكتابة وطقوسها، وكل هذه الظروف التي تبدأ بشخصيته ولا تنتهي عند مكتبه، فقد كان لها أكبر الأثر في تكويني.

قدّم علاء الأسواني عدة أعمال مهمة في تاريخ الرواية العربية، ولعلّ أشهرها عمارة يعقوبيان والتي تحولت إلى فيلم سينمائي شهير بطولة الفنان عادل إمام، ثم تحولت إلى مسلسل تلفزيوني بطولة الفنان صلاح السعدني، وقد كثر حولهما النقد والرأي، وتباينت آراء النقاد حول الرواية ما بين مادح وقادح، ولكنهم قد اتفقوا جميعاً على أنها تمثل حقبة زمنية مهمة من تاريخ المجتمع المصري، ثم قدم الأسواني بعدها روايته شيكاغو والتي كتبها رداً على من اتهمه بأنه قد انتهى إبداعه.

يقول الدكتور الناقد حسن نافعة حول رواية شيكاغو: الواقع أنني ما إن بدأت بقراءتها حتى تملكني إحساس طاغ بالرغبة في الاستمرار وعدم التوقف، وبأنني أمام عمل إبداعي من طراز رفيع يستحق التضحية من أجله بأشياء ومتع أخرى، والأهم من ذلك، أنني لم أشعر أبداً أن شيكاغو مجرد مجموعة حواديت منفصلة، وإنما وجدتها نسيجاً متكاملاً حاكته شخصيات متنوعة عكس سلوكها الإنساني، جملة من مواقف مترابطة ترسم في مجملها تضاريس قضية فكرية كبرى، ناقشها الكاتب بإبداع في عمله الفني، بصرف النظر عن الشكل أو التصنيف الذي يمكن

فنياً أن يندرج تحته، أما الناقد جلال أمين فيقول حول هذه الرواية: قد كانت قضية العلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة في قصصها الأساسية الخمس، هي أكثر ما استحوذ على اهتمام الأسواني في رواية شيكاغو، لا سيما ما يتعلق بالمجتمع الأمريكي من ناحية، والمجتمع المصري من ناحية أخرى، وهذا أكثر ما لفت نظري في هذه الرواية المتميزة .

وهكذا تحول الدكتور الأسواني من طبيب أسنان إلى روائي عالمي، تباع رواياته في المكتبات المصرية والعربية بأرقام قياسية، وتترجم أعماله إلى عدة لغات عالمية، ويناقشها النقاد في الصحافة والمنتديات والصوالين الثقافية بشكل جاد وباهتمام بالغ، كل هذا التحول لأن الدكتور الأسواني اتجه نحو شغفه العارم ولم يجعل مشرط الطبيب يقف حائلاً بينه وبين إبداعاته، وفي سيرة الدكتور الأسواني قصة محفزة أخرى للكتاب الناشئين، فقبل عمارة يعقوبيان كتب الأسواني روايتين رفضتها جميع دور النشر في مصر بسبب ضعف الأسلوب وركاكة السبك الفني، وكان هذا الفشل كفيلًا بأن يعزف الأسواني عن الكتابة، ولكن بعد أن تجاوز عوامل الفشل والإحباط أصر على مواصلة طريقه نحو النجاح، فأدمن الكتابة صباح مساء، حتى أصبحت ريشة القلم والأوراق البيضاء رفاقه حيثما ارتحل، وفي كل مكان قام فيه أو نزل، فماذا كانت النتيجة، لقد تطورت لغته الروائية، وأصبح بارعاً في حبك الأحداث والوقائع، وأضحى فناناً في عرضه للرواية، وقد اعتكف ثلاث سنوات كاملة حتى خرج لنا برائعة عمارة يعقوبيان التي أصبحت سمة من سمات الأدب الروائي العربي.

أديب الأطباء في اليمن

تلقى الدكتور أحمد الحملي قسطاً من دراسته في دمشق، ويبدو أنّ دراسته في سوريا كان لها أثر عظيم على ثقافته، وكما أن وجود أطباء ومهندسين ومحامين يمارسون الإبداع الأدبي جنباً إلى جنب مع ممارسة تخصصاتهم العلمية قد دفعه إلى أن يقتدي بهم، ويجمع بين الطب والأدب، وأن يحدد اهتمامه الأدبي في الكتابة الدرامية مؤكداً أهمية وسائل التوصيل الحديثة كالإذاعة والتليفزيون، وما يمكن لهذين الجهازين أن يقوما به من توعية جماهيرية مباشرة عن طريق الكلمة، والكلمة القادمة عن طريق التمثيل، بخاصة لما تعكسه من أبعاد فنية، وما تتوسل به من وسائط أسلوبية.

أحمد الحملي يعرفه الناس في اليمن أنه كاتب المسلسلات التلفزيونية الأشهر فيها، وقد اشتهر اسمه في حواضر اليمن بمسلسلي الشهيرين سنوات الجمر والفجر، لكنّ الكثيرين منهم لا يعلمون أنه طبيب في الأصل، وقد نال الدكتور أحمد الحملي إعجاب الناس نظراً لما يقدمه من إبداع تلفزيوني، كما أنّ المثقفين في اليمن اعتبروه ظاهرة إبداعية تجمع ما بين الطب والأدب، فقد كتب الدكتور عبد العزيز المقالح عنه مقالاً قال فيه: الأطباء هم وحدهم الذين ينهضون بعبء مداواة الجسد الإنساني، منهم كثيرون ينهضون إلى جانب ذلك بمداواة الأرواح من خلال ما يقدمونه من كتابات إبداعية، شعراً ونثراً، يرى العلماء أنها لم تعد أقل أهمية وشأناً من الأدوية، وقد أثبتت الأيام نجاحها في علاج كثير من الحالات التي كان

البعض يرى أنّه لا علاج لها، والصديق الدكتور أحمد الحملي طبيب مشهور ومشهود له في علاج الأجساد والنفوس معاً من خلال عمله كطبيب، ومن خلال هوايته ككاتب دراما متميزة وقادرة على التقاط الوجع الإنساني اجتماعياً.

في بداية الأمر، قوبلت أفكار الدكتور الحملي ومشاريعه بمعوقات عديدة، لكنه كان يملك من الصبر ومن القدرة على المتابعة، ما جعله يقدم بعض أعماله الإبداعية، سواءً عن طريق المذياع أو عن طريق الشاشة الصغيرة، وقد نجح في نقل الاهتمام بفن الدراما ودفع بآخرين إلى دخول هذا العالم الإبداعي، الذي يرى فيه عدد من كبار نقاد الأدب الصورة المستقبلية للإبداع الأدبي الأكثر حضوراً في حياة الناس ووجدانهم من بقية أنواع الإبداع الأخرى، ونستطيع أن نلمس ذلك من خلال التأثير السحري الذي تمتلكه المسلسلات والسباق المحموم بين القنوات الفضائية لكسب أكبر قطاع من قطاع الجمهور العربي في مشرق الوطن ومغربه.

والحديث عن الدكتور أحمد الحملي المبدع يجرنا بالضرورة إلى الحديث عن مسلسل الفجر، أهم أعماله الدرامية على الإطلاق، فقد حقق نجاحاً منقطع النظير، ونال من الإعجاب الوطني اليمني ما يفوق الإعجاب بكل المسلسلات التي تم عرضها على الشاشة اليمنية الصغيرة، وقد أعاد تلفزيون اليمن بثه أكثر من مرة، ثم تبعته القنوات التجارية بعرضه، ومن حسن حظ المسلسل أن أتاحت له الظروف مستوى عالياً من الإخراج، وكوكبة فريدة من الممثلين، أغلبهم من الهواة الذين لم يسبق لهم الظهور على خشبة المسرح، وعندما أقامت وزارة الثقافة تكريماً لمسيرة الدكتور أحمد الحملي كان الحملي يتفرج في وجوه الحاضرين علّه يرى الدكتور عبد

العزيز المقالح والذي كان متغيباً عن الحفل لظروف طارئة، وبعد الحفل أحس الدكتور الحملي بشيء من الألم، لكن الدكتور المقالح فاجأه صباح اليوم التالي بمقالة صحفية، قال فيها: إنّ الاحتفاء والاحتفال بالدكتور أحمد الحملي المبدع احتفاء واحتفال بالكلمة في أنصع تجلياتها وأقربها إلى وجدان الشعب، وينبغي أن يقترن تكريمه بالاهتمام بالفن الإبداعي، وإذا كنت قد تغيبت عن حفل التكريم الذي أقامته وزارة الثقافة للصديق الدكتور أحمد لأنني لم أعرف بالموعد، فإنّ في هذه الكلمات الطالعة من القلب، هي بعض من الاعتذار لصديق أعتز به، وأقدر دوره الكبير في مجال الطب والإبداع.

طبيب نفسي وكاتب روايات

ولد الدكتور محمد المخزنجي في مدينة المنصورة بجمهورية مصر العربية في عام ١٩٤٩م في شارع الكام في جنوب البلد، وقد عمل في بداية حياته في ورش السكك الحديدية بالمنصورة ولم يمكث فيها إلا ثلاثة أيام فقط؛ لأنه اختلف مع المشرف الإنجليزي فتركها، وفتح ورشة لدهان سيارات، ويعد واحداً من المؤسسين لهذه المهنة في مصر، فكانت ورشته ثاني ورشة في البلد بعد ورشة الإسكندرية التي كان قد أنشأها رجل يوناني، وإذا كان قد ورث العنصر المحب للفن أو رؤية العالم من زاوية الجمال، فمن هذا الرجل اليوناني، لأنه كان يملك العديد من المواهب، إذ كان خطاطاً ومزخرفاً، وكانت لديه قدرة على تحليل الألوان ومجرد النظر بالعين المجردة، وهو ما يقوم به الكمبيوتر اليوم.

وعن اختياره لكلية الطب يقول الدكتور المخزنجي: لقد اخترت دراسة الطب لأسباب عاطفية، ولكنها في ذات الوقت غير بعيدة عن حبه للكتابة، لأنّ الانشغال بالألم الإنساني هو شغلة الأدب والانشغال بالألم الإنساني أيضاً هي شغلة الطبيب، لكن دخولي لكلية الطب بالتحديد له قصة طويلة، إذ كنت معتاداً أن أعمل في ورشة أبي في أثناء الإجازة الصيفية حتى اكتشف والدي أنني طالب ممتاز، وأنني قد جنيت على نفسي، وطلب مني أن أترك العمل بالورشة، وفي هذا الوقت كان عدد السيارات محدوداً وكذلك الأطباء، ومن ضمن الزبائن الذين كانوا يأتون إلى الورشة الدكتور الإنجليزي إيميل فوتي، وكان الطبيب الباطني الخاص بالمدينة، ولأنّ بصره

كان ضعيفاً، فقد كان يحتاج دوماً إلى شخص آخر يركب معه السيارة حتى يصف له الطريق، وفي يوم طلب مني والدي أن أركب معه وأرشده في الطريق، وكان هذا يوماً فاصلاً في حياتي الإبداعية فيما أظنّ، إذ خضت معه رحلة أعتقد أنها هي التي غيرت اعتقادي بأن القصص موجودة في العالم، المهم أن تذهب لها، كما اكتشفت أيضاً أنّ المشي يصنع طرقه ويجلب القصص أيضاً، ففي هذا اليوم اكتشفت أنه بالإضافة إلى كونه طبيباً يعمل بالمستشفى، فإنّه طبيب السجن أيضاً، فرأيت كيف يستقبله المساجين وينادون عليه من خلف القضبان: يا دكتور، يا دكتور، ثم رأيته يكشف على مرضاه في طيبة وحنان في عيادته، وكيف كانوا يستقبلونه في السجن بكل ودٍ واحترامٍ، فكأنني في قصة خرافية، فهذه الحكاية أثرت في نفسي كثيراً، وقررت بعدها أن أدخل كلية الطب، وقد أخبرته بذلك، فكان ممتناً جداً ومبتهجاً بشدة.

وأما عن امتهان الدكتور المخزنجي للكتابة وشغفه بكتابة القصة والرواية، فيحدثنا أنه أول من اكتشف أن عنده موهبة القص، كان الأستاذ عثمان في مدرسة عمر بن الخطاب الابتدائية، وقد كان رجلاً مطربشاً، أي يرتدي طربوشاً، وكانوا في المدرسة في ذلك الوقت يعطوننا خيارات في موضوعات التعبير، فكنت مثلاً أكتب قصة ولد مكافح، أو أكتب مقالاً مثلاً في عيد العلم، وهكذا، وقد كنت دوماً ما أختار كتابة القصة، وفي أحد الأيام التي لا أنساها أبداً، كان الأستاذ عثمان يصحح موضوعات التعبير عندما أمسك بكراستي، وتوقف عندها لفترة، ثم نادى على اسمي، وطلب مني أن أقف بجواره في مقدمة الفصل، ورغم أنني كنت طالباً ممتازاً، إلا أنني خفت، ثم قام وخرج من الفصل وعاد ومعه ناظر المدرسة

الحاج إبراهيم، ثم طلب مني أن أقرأ ما كتبت، ففعلت، وبعدها وجدت الناظر ينظر لباقي زملائي في الفصل ويقول لهم: صفقوا له، وهذا ما يؤكد أنه بالفعل لا موهبة إلا وتحتاج إلى مكتشف ونبل من الآخرين، بعد ذلك انجذبت نحو الشعر العامي لأن هذه الفترة كان بها عبد الرحمن الأبنودي وصلاح جاهين، فبدأت بكتابة الأشعار العامية، وكنت أحتفظ بها في قفص ضاع مني ولم أجده للأسف، وعندما دخلت كلية الطب بدأت أكتب في المجلات والصحف المصرية.

كتب المخزنجي مجموعة من القصص القصيرة ومجموعة من الروايات تشكل معاً لؤلؤة نادرة الجمال والإشعاع، وتستحق كل واحدة منها منفردة القراءة والإعجاب العميق بقدرة لذلك القصاص العبقري على تقديم نص شفاف ومشع ومتعدد الألوان، تقرأ كل قصة له فتصحو فيك روحك، وتنتهج لكل ما في العالم من طاقة وجمال، لم تنتبه إليهما من قبل، وتظل فترة في السكون ترج المتعة التي يتركها العمل في نفسك، كما ترج قطعة ثلج صغيرة في كأس تريد لها أن تذوب، وتريد أن تحتفظ بها لتظل أمامك، تقول الكاتبة الشهيرة إيزابيل اللندي: إنّ القصة القصيرة مثل السهم ولديك فرصة إطلاقه واحدة، لذلك تحتاج إلى الدقة والاتجاه، والسرعة، وقبضة اليد الثابتة لرامي السهم لكي تجعلها جيدة، وقد ينطبق كل ذلك على البناء الفني المحكم والمكثف في قصص المخزنجي، ومع ذلك فإنّ قصصه ليست كالسهام، لكنها أقرب إلى أوراق الزهور التي تلمس الهدف بعطرها، ربما لأنّ المخزنجي صياد لحظات دقيقة، وهشة في النفس والحياة والمجتمع يقتنصها لكي يضمن لها حياة طويلة كأنما يخلق محمية لتلك اللحظات الرقيقة لكي لا تتبدد في الهواء.

يتضايق الدكتور محمد المخزنجي من رواج بعض الروايات التي لا تصل إلى مستوى عال من الحبكة الروائية، خصوصاً إذا احتلت قائمة الأعلى مبيعاً، ويقول بأنّ هذه الروايات تتلاءم مع العصر الاستهلاكي الذي نعيشه، وتحمل سمة السرعة، والبعد عن التأمل، ويلاحظ أنّ أجهزة الترويج تصنع التباساً مخيفاً فيما يحدث مع الكتب، يحدث مع أنواع المعروضات الأخرى من السلع، ودائماً ما يردد الدكتور المخزنجي: أنّ الأديب الذي ينشغل بالتساؤلات عن الرواج، ويكتب وفق ما يريده البسطاء من القراء، يخرج عن سياق الأدب الحقيقي، كما يرى أنّ هناك رواجاً ساخناً لما هو سياسيّ وفضائحيّ في ثقافة التسويق، ومن ثمّ فهو يخشى على الأشياء الجيدة التي لا تتناسب مع هذه الثقافة.

وحول سيرة الدكتور المخزنجي يقول: إنه عصبي جداً، ويحاول دائماً ضبط أعصابه، ويقول: إنّ هناك عبارة تقول بأنّ تاريخ الحضارة الإنسانية هو تاريخ الانضباط أو تاريخ ضبط النفس، ولذلك فهو يمارس هذا الانضباط حتى يحمي نفسه، وحتى يحررها في الوقت ذاته، فالدنيا ليست معركة، ولكنها تحتاج التأمل، خاصة إذا كنت رجلاً تمتهن الطب والكتابة.

سومرست موم

سومرست موم هو طبيب إنجليزي هجر مهنة الطب إلى ساحة الأدب، فقد ولد في باريس من أبوين إنجليزيين في شهر يناير عام ١٨٧٤م، وقد بدأ حياته منطوياً على نفسه، وكان طفلاً عليل البنية عند ولادته، وقد توقع له الأطباء أن يموت حينها ولن يعيش طويلاً، وهذا يذكرني بكثير من العباقرة الذين تشابهوا في هذه الظروف مثل فولتير وجان جاك روسو والموسيقار محمد عبد الوهاب، وحينما ألحقه عمه بمدرسة الثانوية، حيث كان زملاؤه ومعلموه يسخرون منه، فقد كان الفتى يجيد الفرنسية، ويتحدث بها بطلاقة ممتازة، ويحصل على العلامة النهائية في اختباراتها، بينما يرسم في لغته الأساسية اللغة الإنجليزية، ناهيك عن أنه كان يعاني من مرض التلعثم في النطق والتأتأة أثناء الكلام، وقد لزمه هذا المرض طوال حياته.

وعندما أتم تعليمه الثانوي، غادر فرنسا ليلتحق في كلية الطب في مستشفى سانت توماس بلندن، وهناك بدأ يكتب المسرحيات القصيرة التي تأثر فيها بالكاتب النرويجي أبسن أوف لامبيث، التي نشرت له عام ١٨٩٧م، وهناك تخرج طبيباً ومارس مهنة الطب، حيث كان يجلس في عيادته في المستشفى يراقب المرضى، وكان يقول لأصدقائه: لقد كانت تلك الأعوام أعظم تجربة مرت بي في حياتي كأديب.

إن السنوات التي أمضيتها في المستشفى قد أمدتني بمعرفة الطبيعة، وهناك روّعه فقر مرضاه، وخرجت أفكار عظيمة وعدد كبير من القصص التي كتبها، وعندما كان يخلو إلى نفسه، يستعيد ذلك الشريط الطويل من الانطباعات التي علقت بذهنه، لقد كان صريحاً، هادئ الطباع، وصراحته كانت تصل إلى حد إيذاء شعور الآخرين بدون قصد، قال يوماً لأحد الصحفيين الشباب جاء لينقذ مسرحيته الجديدة: تستطيع أن تكتب عني ما تشاء، لأنني لن أقرأ أبداً ما تكتبه.

لقد طاف موم حول العالم مرتين، الأولى في شبابه، بعد أن هجر الطب، وتفرغ للكتابة، والثانية عندما تقدمت به السن، حيث جلس ينتظر الموت بلا مبالاة، وقد ظلت قصصه وحكاياته حدث العالم كله، وقرأها الملايين من الناس من كل أصقاع العالم، وقد قدرت ثروته بالملايين، وهكذا تحول الإنسان الذي بدأ حياته بالكفاح المستمر والنشاط الذي لا يعرف الكلل والمثابرة لمواصلة التي لا تستسلم لظروف ومعاناة الحياة إلى شخصية عالمية من الدرجة الأولى، فأصبح الأديب الذي لا ينازعه روائي في أدبه، كما أنه اعتبر من أثرياء أوروبا بفضل عائدات المبيعات التي يحصل عليها من مبيعات رواياته ومسرحياته.

لقد قضى سنوات حياته الأخيرة متنقلاً بين الفيلا التي يسكنها في جنوب فرنسا، وبين البيت الذي يملكه في الولايات المتحدة الأمريكية، وبين الجناح الخاص الذي يستأجره بفندق دور شيستر بلندن، فقد كانت بريطانيا بلده الأول، وهي البلد الوحيد الذي التي لا يملك فيها بيتاً، ومما قاله رئيس وزراء بريطانيا الأشهر ونستون تشرشل يوماً عنه إنه شخصية عظيمة لن تتكرر، لقد كانت معرفتي به

وصداقتي له أعظم تجربة مرت في حياتي، رحل وترك وراءه ثروة من الأعمال التي ستظل حديث العالم كله، وستخلد تاريخه على مر الأزمان.

لقد كان موم يعاني من عاهة التأتأة، وهي عاهة سببت له العديد من الإحراج أمام الناس، ولكنّها لم تكن يوماً حجراً عاثراً له أمام تحقيق طموحه، بل ربما كانت هذه التأتأة هي الوقود التي يضخ له الثقة بالنفس، والرضا عن الذات، مما جعلته يعترف أنّها محرجة له، ولكنّه لم يقل أبداً إنها أوقفته عن الكتابة، يقول موم في تلخيص حياته: لست أعرف ميداناً للكاتب أفضل من أن يقضي بضع سنوات في مهنة الطب، وأنك قد تعرف الكثير عن الطبيعة الإنسانية، إن الطبيب يستطيع أن يدرس طبيعة الإنسان عارية مجردة، إذ أن المريض يزيل كل مظاهر التكلف، وإلى جانب ما أمدني به عالم الطب معرفة بطبيعة الإنسان، وما زودني بالمعرفة، وبأصول العلم، وأسلوب البحث الميداني.

لم يتخصص موم في مجال واحد بل كتب في كل شيء، وبدأ في الكتابة للمسرح، لكن مسرحيات الأولى لم تلقَ نجاحاً، ورفضتها جميع المسارح في ذلك الوقت، ثم حالفه التوفيق حينما وافق أحد المسارح على إحدى مسرحياته التي حملت عنوان الليدي فردريك وتم عرضها فنجحت نجاحاً عظيماً، وقد جنى موم منها أموالاً طائلة، يقول إبراهيم البليهي عنه: إن نجاح موم في الكتابة لم يكن دافعه الأساسي الرغبة في جمع الأموال، وتحقيق الثروات الهائلة كما حصل له في مهنة الطب، وما كان يجني منها في زمنه كانت كفيلة بصد أفكاره عن هذا الشيء، ولكن دوافعه الذاتية وميوله الداخلية هي التي حركت فيه هذا الاتجاه، وجعلته يهجر مهنة

الطب، ويتجه إلى كتابة الرواية والمسرحية، وهو يقول في أواخر أيامه: أحب الشرق، إنني لا أستريح، ولا أسعد إلا حين أكون في الشرق، والشيء الوحيد الذي يمنعني من أن أكون هناك الآن هو أنني في التسعين من عمري، وفي عيد ميلاده الثاني والتسعين شعر بدنو الأجل؛ فقرر أن يعتزل الكتابة، وقال يومها: لقد جف قلمي، وسأكتفي بالقراءة.

أحمد خالد توفيق

ولد الدكتور أحمد خالد توفيق بمدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية بمصر عام ١٩٦٢م، وتخرج من كلية الطب عام ١٩٨٥م، وقد بدأ الدكتور أحمد خالد العمل في المؤسسة العربية الحديثة عام ١٩٩٢م ككاتب رعب لسلسلة ما وراء الطبيعة، وهو من الكتاب العرب النادرين الذين يكتبون في هذا المجال إن لم يكن أولهم، فكانت تلك السلسلة التي عشقها الشباب العربي جميعاً ببطلها، رفعت إسماعيل الساخر العجوز، والذي أظهر لنا الدكتور أحمد عن طريقه مدى اعتزازه بعروبته ومدى تدينه والتزامه وعبقريته أيضاً.

بعد ذلك، أخرج لنا الدكتور أحمد سلسلة فنتازيا الرائعة في بطلتها عبير، وبالمثل أظهر الدكتور أحمد خالد توفيق عن طريقها كم هو خيالي يكره الواقع، ثم تلتها سلسلة سفاري ببطلها الدكتور علي عبد العظيم، وعرفنا من خلال تلك السلسلة المتميزة مدى حب الدكتور أحمد لمهنته الطب ومدى عشقه وولعه بها، وقد ترجم العشرات من الروايات الأجنبية، هذا بالإضافة إلى بعض الإصدارات الأخرى.

في عام ٢٠٠٤م، انضم الدكتور أحمد خالد توفيق إلى مجلة الشباب ليكتب فيها قصصاً في صفحة ثابتة له تحت عنوان الآن نفتح الصندوق، كما أنه كان يكتب في جريدة الدستور التي تصدر كل أربعاء، من السمات الرائعة لهذا الطبيب الأديب أنه إنسان بسيط، وطبيب متواضع في عمله، وأديب متميز في استخدام قلمه، ساخر بجدة، يفخر بعروبته ودينه، وللعلم، فإنّ الدكتور أحمد صديق قديم لزميله المبدع

الدكتور الأديب نبيل فاروق، وبينهما ودٌ ومحبةٌ، وهما متشابهان في الكثير من الأمور، في الطب وفي الكتابة.

وبالرغم من كونه طبيباً وأديباً، إلا أنه لا يرى أي وجه شبه يجمع ما بين الطب والأدب، فيرى أنه بافتراض أنّ هناك علاقة ما بينهما، ينفي ظهور أدباء من مجالات أخرى كالمحاماة والمحاسبة، إلى آخره، ويعتقد أن نفس العوامل الانغلاقية نفسها هي التي تجعل الأديب ناجحاً في أدبه، والطبيب في الطبه، فمن نادر جداً أن تجد شخصاً يجمع بين مزاولة العملين في الوقت نفسه، لأنّ كليهما يتطلب انعزالاً عن العالم الخارجي في عالم خاص.

وللدكتور أحمد توفيق اهتمامات بعلم الميثولوجيا، ويقول عن هذا العلم: إنه ينبع من حبي واهتمامي بعالم الرعب، فقد كنت أرى أنّ القصص في هذا المجال لم تكن كافية، فكتبت لها أنا كنوع من التعويض، وأيضاً لأنني في ذلك الوقت لم أكن مطلعاً على الأدب الإنجليزي بدرجة كبيرة، ولم تكن لغتي تساعدني، ربما لو كنت تعرضت لأدب الرعب الإنجليزي وقتها، لم أكن لأكتب، وكنت اكتفيت بالقراءة، تماماً كما حدث مع أمل دنقل، لكنّني كنت أحب الرعب، وأحب أن أقرأه ولم أجده بدرجة كافية فكتبتها، ولكنه يهاجم الفلسفة، ويرى أنها فن الكلام عن التفاحة إلى أن تتعفن، ورأيه الشخصي أنه لم يفدنا أحد من الفلاسفة قدر الفيلسوف الفرنسي ديكارت وابتداعه المنهج العلمي الذي استطاع الغرب مع مرور قرنين على تبنيه لهذه الفلسفة، أن يصل إلى هذا التطور، حيث اتسعت الهوة ما بيننا وبينهم، أما ما سواه من الفلسفة فلا فائدة منها على الإطلاق.

كما يرى الدكتور أحمد خالد توفيق أنّ الطب مهرب أساسي حين تخذله الكتابة والكتابة مخرج ممتاز حين يخذله الطب، وعن نهجه في الكتابة يقول إنه أحياناً يحب استعمال بعض الرعب في القصص على سبيل طرد الملل، لكن هذه ليست القاعدة، ويقول عن أسلوبه في نهاية القصة إنني أعشق النهايات المفتوحة، ولو ترك لي الحبل على الغارب لما كتبت قصة واحدة إلا ونهايتها مفتوحة، لكنني أعرف أن ٩٠٪ من القراء لا يحبونها، فعدلت لأجعل لقصة واحدة من كل عشر ذات نهاية كهذه، وعندما يسأل عن ما هي القصص المفضلة لديه؟ يقول: لا أعرف، وأفضل قصصي لم أكتبها بعد، وما زلت أشعر أنني هاوٍ يجرب ويبحث عن الأسلوب الأفضل.

يرى الدكتور أحمد خالد توفيق أن أدب المغامرة لا يزال طفلاً يحبو في عالمنا، ويقول: أعتقد أن مهنتي الأساسية هي أن يعرف الشباب من خلاله أنّ هناك أدباً يكتبه ديستويفسكي ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وسومرست موم، هذه هي مهمتي الأساسية، أنا خطوة، لكنني لست نهاية الطريق، ولهذا يتضح أخي القارئ الكريم أن روايات وأعمال الدكتور أحمد خالد توفيق تعبر عن سيرته وفكره ونظرياته، وتترجم عن شخصيته، وأما إبداعه، فإنه يتجلى بشغف القراء وإقبالهم على رواياتهم، وولعهم بالاطلاع عليها ومناقشتهم لها، رحم الله الدكتور أحمد خالد توفيق فقد كان سيد أدب الرعب في زمانه.

مصطفى محمود، عبقرية طبية أدبية فكرية نادرة

مصطفى محمود من أبرز مفكري العصر الذين شغلوا الساحة الفكرية والثقافية على مدار نصف قرن بكتاباته الجريئة التي تحرك مياه الواقع الراكدة، لقد عزله مرضه في أواخر حياته عن العالم الخارجي إثر اصابته بجلطة مخية تركت آثارها على النطق والحركة، وقد عبر المقربون منه حينها أن آثار تدهور صحته قد تبدو على وجهه ولكنه يتحامل بقوة الإيمان وبعلمه الغزير كطبيب سابق وباحث في أسرار ما وراء الطبيعة والظواهر الغامضة، هذا هو إذاً الرجل الذي شغل الناس والذي كتب عشرات الكتب والآف المقالات، لقد ظل شغوفاً بالقراءة والكتابة ومتابعة القضايا العلمية حتى آخر أيام حياته من خلال الكتب وآلاف المقالات، ومن الجدير بالذكر القول: إنه جاء إلى الحياة مع توأمه بعد سبعة شهور فقط من الحمل في عام ١٩٢١م في مدينة طنطا إحدى مدن الدلتا شمال مصر.

بدأ حياته متفوقاً في الدراسة إلى أن ضربه مدرس اللغة العربية فاكتأبَ ورفض أن يذهب إلى المدرسة مما أدى إلى تعثره في الدراسة لمد أربعة أعوام، وما إن رحل ذلك المدرس عن مدرسته حتى عاد مصطفى إليها، وبدأت تظهر موهبته وتفوقه وحبه للعلم، وفي منزل والده أنشأ معملاً صغيراً وأخذ يصنع الصابون والمبيدات الحشرية التي يقتل بها الصراصير، ثم يقوم بتشريحها، وفيما بعد حين التحق بكلية الطب اشتهر بالمشرحجي نظراً لوقوفه طوال اليوم أمام أجساد الموتى طارحاً تساؤلات حول

صاحب هذا الجسد والرهبة المحيطة بالموت، وكيف يموت أي كائن وما سر الموت الذي قهر الجميع.

كان رحمه الله مرهف الحس بالغ التأثر، يجلس على شاطئ النيل صغيراً يتأمل ويصنع المراكب الورقية ويقذف بها في مياهه ذاهبة إلى المجهول، وكان يحب الموسيقى خاصة آلة الناي، وحينما سئل يوماً عن الناي ولماذا يؤثر فيه، قال: هو حي ينفخ في حي.

تخرج في كلية الطب متفوقاً ورغم احترافه الطب إلا أنه كان نابغاً في الأدب مما دفعه للانحراف نحو الكتابة منذ كان طالباً بكلية الطب، وكانت تنشر له القصص القصيرة في مجله روز اليوسف التي عمل بها لفترة بعد تخرجه، كانت هذه المجلة حينها تعج بالكتاب الصاعدين والموهوبين أمثال إحسان عبد القدوس وصلاح جاهين ويوسف السباعي وغيرهم ممن برزت أسماؤهم على الساحة فيما بعد.

وقد أثرت حياة الدكتور مصطفى محمود العملية والأدبية على حياته العائلية، فقد تزوج من سيدة أحبها، وأنجب منها أدهم وأمل إلا أنه لم يستطع التعامل مع الحياة بشكلها المادي من طلبات الزوجة ومسؤولية الأبناء ومتطلبات الحياة الاجتماعية فانفصل عن زوجته، ثم تزوج من سيدة أخرى لم يطل زواجه منها، ومنذ تلك اللحظه قرر ألّا يخوض تلك التجربة مجدداً وأن يتفرغ للعلم والتأمل والكتابة والعبادة.

ظل دائماً زاهداً في الحياة يعتبرها رحلة سفر مهما طالت، فهي ثوانٍ في عمر الزمن ولا أحد يستطيع أن يدعي أنه مقيم فيها، ولذا لا يلزمنا منها إلا الضروريات، وحينما سئل في أواخر حياته عن نشاطه أجاب، لقد قل ثم ضحك، وهو يضيف القراءة عندي أكثر من الكتابة، والتفكير أكثر من العمل، ولا زلت أستلهم قوتي وإبداعي من حب الناس، ولأنه لا يكف عن البحث والتعمق فإنه ينظر بعينيه بعيداً لعله يستنتج المعاني، وهو يتذكر آخر صورة التقطت للكرة الأرضية من الفضاء، فقد ظهر فيها الحرمان الشريفان بقعتان مضيئتان، فيعلق الدكتور مصطفى محمود على هذه الصورة قائلاً: أنا مندهش كيف لم ينشر الإعلام العربي والإسلامي هذه اللقطة الفضائية التي يمكن أن نستخلص منها الكثير من المعاني، فهي صورة كونية بالغة الدلالة.

من الشك إلى اليقين ومن الإيمان إلى الزهد، ومن اليسار إلى اليمين ومن الاشتراكية إلى الرأسمالية، وسط كل هذه التحولات كان هناك دوماً مصطفى محمود بملامح ثابتة، وقد جاء بعد ذلك ليعلن رفضه كل تلك النظم والتحولات مؤكداً شيئاً واحداً، هو إيمانه بالله الواحد الأحد وبالقوانين التي وضعها سبحانه وتعالى، وأن حياته هي رحلة مختصرة للبحث عن الحق، وفي ذلك قال عنه الكاتب والشاعر الراحل كامل الشناوي بعد أن اتهمه بعض المتشددين في مرحلته الاشتراكية: إذا كان مصطفى محمود ملحداً، فهو يلحد على سجادة.

واختصر الدكتور محمود حياته كلها في مشروع واحد أسماه العلم والإيمان، ومراحل هذا المشروع سردها من خلال ثمانية كتب، وعندما شرع بتنفيذ

الحلقات التلفزيونية الشهيرة العلم والإيمان، كان يستلزم له السفر للخارج لمتابعة آخر الأبحاث، ولكن ذلك كان مكلفاً بصورة تفوق قدرات الدكتور مصطفى المادية، ولذا بدأ الياس يتسرب إلى نفسه حتى قابل رجل أعمال شهير فحدثه في أمر البرنامج، فإذا به يخرج دفتر الشيكات ويقول له: لن أناقشك في النفقات، ولكن المهم خروج هذا العمل العلمي والديني إلى النور، وقد لاقى البرنامج نجاحاً منقطع النظير، واجتذب جماهير كثيرة من أرجاء الوطن العربي والعالم.

ألّف الدكتور مصطفى محمود وصنف ما يقارب تسعة وثمانين كتاباً تتراوح ما بين القصة والرواية الصغيرة إلى الكتب العلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، إضافة إلى الفكر الإسلامي والتصوف ومروراً بأدب الرحلات، ويتصف أسلوبه بالقوة والجاذبية والبساطة، رحم الله الدكتور مصطفى محمود.

إبداع في الطب والأدب والموسيقى والغناء والدراسات

ما يثير دهشة المرء وإعجابه في شخصيه الدكتور نزار غانم هذا التنوع الثري والامتزاج المتعدد الجوانب في ملكاته الإبداعية العلمية والأدبية والفنية، فهو طبيب وشاعر وموسيقي يجيد العزف على العود ويجيد الغناء، وهو باحث في تاريخ الموسيقى وباحث في تاريخ الطب في اليمن، وله كتب منشورة عن الأغنية اليمنية وجذورها في أعماق الجزيرة العربية، وعن أصالة الأغنية العربية، وعن الطب البديل في اليمن وعلى الرقصات الأفرويمنية، وعن مواضيع تراثية وثقافية أخرى، ومنذ عام ١٩٩٠م وحتى عام ٢٠٠٣م شارك الدكتور نزار غانم في ندوات ومؤتمرات عربية ودولية عديدة، اخترت بعض عناوينها أدناه للدلالة فقط على سعة عالم الإبداع في شخصية الدكتور نزار.

الدكتور نزار غانم محاضر زائر في مراكز الدراسات الاستشراقية بأمريكا، وهو عضو في اتحاد الجامعيين الكنديين العرب بكندا، وعضو في مركز الدراسات الاستشراقية في بريطانيا، وعضو في مركز دراسات التنمية بجامعة برجل بالنرويج وحسبنا ما ذكرنا، ثم تزول الدهشة ويتحول الإعجاب إلى انبهار بشخصية هذا الطبيب الشاعر والفنان الدكتور نزار غانم حين نتذكر أمثاله من الأطباء الأدباء كإبراهيم ناجي صاحب الأطلال وأحمد صبري النجريري طبيب الأسنان والملحن المعروف، ولو عرفنا أنّ له اهتمامات في الفلسفة تذكرنا بتنوع الاهتمامات عند علماء المسلمين السابقين كالرازي والفارابي وابن سينا وابن رشد.

ولا أحسب الدكتور نزار غانم قد جمع الماء والنار في يد واحدة وفي شخصيته العلمية والإبداعية إلا حباً منه للتميز، مستثمراً ولعه بالعلم وعشقه للفن والأدب، وأما ولعه بالعلم فعن موهبة مكتسبة ونبوغ مبكر، وأما عشقه للفن والأدب فعن موهبة موروثة مزجها بدمه والده الأديب والشاعر والفنان الراحل الدكتور محمد عبده غانم، وقد غذيت باهتمام ورعايه أسرة متأدبة وشاعرة فنية لكن الدكتور نزار غانم ورغم كل هذه الاهتمامات المتنوعة إلا أنّ اهتماماته تلك وانشغالاته في العمل الأهلي الثقافي الاجتماعي وعمله مدرساً لمادة الطب المهني بقسم الطب المجتمعي بكلية الطب جامعة صنعاء لم تمنعه من إقامة العلاقات الإنسانية والأخوانية بمن حوله في اليمن والسودان وطنه الثاني، وهو السوماني صاحب كتاب جسر الوجدان بين اليمن والسودان، فيجعل قول المتنبي شعاره: ولست ممن يدعي الشوق قلبه ويحتج عن ترك الزيارة بالشغل.

يقول الدكتور عبد السلام الكبسي عن كتاب توقيعات إنسانية، قصائد مهداة إلى الشاعر نزار غانم، كتبها شعراء يمنيون وسودانيون هذه التوقعات الشعرية كشيء من أشياء كثيرة وجميلة نضعها اليوم أمام القارئ لتشهد على رحلة إنسان، يعني الدكتور نزار غانم نابض بالحب والملائكية في علاقته بعدد مهم من شعراء اليمن والسودان من الذين يدينون له بالوفاء والذين بادلوه الضوء بالضوء والعطر بالعطر والحب بالحب والشعر بالشعر، لماذا؟ لأنّها لحظات إنسانية قصوى كانوا قد مروا بها وشاركهم همّ المبدع وقلق الأديب، وقد رأى بيت الشعر اليمني أن تخرج هذه التوقيعات للناس انطلاقاً من أهمية ما قيل، وفي إطار ما هو إنساني بالتحديد حيث لقاؤنا الجميل، ويعلل الكبسي حب المبدعين للدكتور نزار غانم بقوله: لقد سخر

الدكتور نزار غانم الطبيب الإنسان علمه وطبه وأدبه وعيادته ووقته وخبرته وتطلعه للمبدعين بلا مقابل، بل وساهم بصورة مباشرة وبنيه معاً في التخفيف من آلام الناس ومشقاتهم في محاولة منه لمنحهم السعادة.

هذا الكتاب اسمه توقيعات إنسانية، أصدره أحباؤه من شعراء اليمن والسودان تعبيراً عن حبهم وتقديراً لهذا الإنسان الجميل، وهذا الطبيب الأديب، وهي نماذج لم يخضع اختيارها لمستوى تذوق كاتب هذا العرض للشعر، ولكن اختيارها كان للدلالة على كل الشعر في هذا الكتيب المعبر عن مشاعر إنسانية جميلة نتمنى أن تظل عامرة بها قلوب المبدعين وغير المبدعين.

طبيب النكتة والمساجلات الشعرية

ولد الدكتور حسن نصيف بجده عام ١٣٤٠م، وقد درس في مدرسة الفلاح، وكان والده محامياً يكلفه بتبييض مذكراته وقضاياه وعرائضه، وبهذه الطريقة تعلم حسن نصيف فن الكتابة، ولكنه تعلم أيضاً تلك الشدائد التي يعيشها والده اقتصادياً، فتعلم منها الكفاح والصبر وقد تخرج من مدرسة الفلاح عام ١٣٥٥م، والتحق بمدرسة تحضير البعثات بمكة وعاش في القسم الداخلي مع زميله محمد بادكوك، وبعد تخرجه من مدرسة تحضير البعثات.

عمل مدرساً بضعة أشهر بمدرسة الفلاح بجدة، ثم كان من ضمن الطلاب المبتعثين للدراسة في مصر، وقد تخرج من جامعة القاهرة طبيباً، ثم اختاره الأمير عبد الله الفيصل وزير الصحه الأسبق ليكون مدير الصحة بمكة المكرمة، وبعدها ترقى في مناصبه حتى وصل إلى منصب وزير الصحة في المملكة العربية السعودية، ويعتبر الدكتور حسن نصيف أحد رواد توجيه الشباب وداعمهم لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم فيما يفيدهم على الصعيد الشخصي ويعود النفع على الوطن والمجتمع وقد اعتاد على توجيه النصائح بطريقة عفوية تميز بها رحمه الله تعالى.

يقول نصيف في مذكراته أنه تولى وزارة الصحة بإمكانياتها المتواضعة في ذلك الوقت، ومع ذلك استطاع أن ينجز بعض المهام، ومن أهمها إنشاء أول مدرسة للممرضات في الرياض وجدة بعد إقناع الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي المملكة حينها، وفتح باب ابتعاث الطالبات للخارج لدراسة الطب، وإحضار كبار

الأساتذة المتخصصين من مصر وإنجلترا لمعالجة المرضى في مستشفيات المملكة في دورات قصيرة ومتعاقبة، وكان مرض الملاريا وقتها منتشراً فوضع له خطة قضت عليه تقريباً، وكان عدد الأطباء السعوديين لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، وقال: إنّ الطبيب الناجح هو الذي يتقن عمله ويخلص في مزاولته، ولذا كان ينصح الأطباء أن يتحلوا بهذه السمة الإنسانية.

وقد كتب عنه الأستاذ محمد عبد الرزاق القشعمي في مقالة منشورة في صحيفة الجزيرة، وذكر فيه: وقد اشتهر وعرف عنه – رحمه الله - بأنه أول من فاجأ المستشفيات والمستوصفات بزياراته المفاجئة، وبطريقة تخفي شخصيته كوزير للتفتيش والتأكد من سلامة الإجراءات المتبعة نحو استقبال المرضى وحسن معاملتهم.

وقد كتبت عنه جريدة الأضواء (عدد ٦٣) وتاريخ ٤-٢-١٣٧٨هالموافق ١٩-٨-١٩٥٨م – عندما كان مديراً عاماً لوزارة الصحة - تحت عنوان: (شخصيات) «الدكتور حسن نصيف، ذكاء وكفاءة، وكان أنبغ أنداده - في مدرسة الفلاح - طيلة زمن الدراسة، وحافظته أشبه ما تكون بالعدسة (الفوتوغراف) ينعكس عليها أو بالأحرى تلتقط كل ما يمر أمامها مما يقرؤه في الكتب أو يسمعه من أساتذته في الدرس، وزملاؤه يقولون عنه بأنه كان يحبس نفسه ليالي وأياماً يقضيها بين الاستذكار والدراسة والمختبرات، وكان منافسه الأول في هذا السبيل هو الدكتور حامد هرساني، وكانا فرسي رهان في فصول الدراسة.

يقول الكاتب عبد الله الحسين: إن الجميع يعرف ويقدر شخصية الدكتور حسن نصيف وما قدمه من خدمات للوطن والمواطنين، والكل يشهد له، خاصة في الفترة التي تولى فيها مهام وزارة الصحة خلال عهد الملك الراحل فيصل رحمه الله، حيث ساهم في وضع الدعائم الأولى للصحة في المملكة العربية السعودية، وقد كان نصيف في آخر حياته ورغم كبر سنه متزناً وحكيماً ويتسم بصواب الرأي، وقد ساهم في تربية جيل صالح نجحوا في تبوء مناصب مرموقة في البلاد، وللفقيد عدة مؤلفات طبية وأدبية منها، طبيب العائلة الصادر عن نادي جدة الأدبي، كما صدر له أيضاً عنوان: تسالي، وهو ديوان شعر شعبي عام ١٤٠٢هـ، والبسمات وهي قصائد شعرية عام ١٤٠٤هـ، وقبلها كان قد صدر له في عام ١٩٥٩م كتاب: مذكرات طالب سابق.

أحمد محمد البطراوي

هو طبيب وعضو مجمع اللغة العربية، فمن الأمور التي تستدعي الانتباه مشاركة عدد غير قليل من الأطباء في عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه سنة ١٩٣٢م، وقد انضموا إلى مجمع الخالدين باعتبارهم سدنة للغة العربية وحفاظاً لها قبل أن يكونوا ضالعين في تخصصاتهم العلمية الدقيقة، وكان الدكتور علي إبراهيم الجراح المشهور ورائد النهضة الطبية في مصر والعالم العربي، أول طبيب يدخل مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٠م في الدفعة الثانية التي ضمت عشرة من نوابغ الفكر والأدب، كان منهم عباس محمود العقاد وطه حسين وأحمد أمين وأحمد لطفي السيد ومحمد مصطفى المراغي، ومن ضمن هؤلاء الأسماء التي جمعت بين مهنة الطب وعضوية مجمع اللغة العربية صاحبنا أحمد محمد البطراوي.

شهدت قريه طه شبرا التابعة لمحافظة المنوفية بمصر مولد أحمد محمد البطراوي سنه ١٩٠٢م، وقد ولد في أسرة كريمة يشتغل عائلها بالعلم والتدريس، فأبوه محمود البطراوي كان عالماً جليلاً يعمل بالتدريس في مدرسة دار العلوم العليا التي كانت تضم أساطير اللغة ونوابغ الأدب وجهابذة العلم، وقد تلقى أحمد البطراوي في قريته تعليماً أولياً، فحفظ القرآن الكريم في الكتاب، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى القاهرة وتم تعليمه الابتدائي والثانوي في مدارسها، ثم التحق بمدرسة الطب العليا بالقصر العيني وتخرج فيها سنة ١٩٢٦م.

وبعد تخرجه مباشرة عمل لفترة قصيرة في وزارة الصحة، ثمّ عيّن معيداً بقسم التشريع بكلية الطب، وفي أثناء هذه الفترة كانت تجري عملية خزان أسوان، فاختير ضمن بعثة أثرية لإنقاذ الآبار قبل إتمام تعبئة الخزان، وقد كلف بجمع البقايا البشرية التي تكشف عنها الحفاير، فقام بعمله على خير وجه، كما قدم تقريراً علمياً عن عمله هذا، فكوفئ على ذلك بإرساله إلى إنجلترا للتخصص في علم التشريح البشري وعلم الأجناس البشرية، وهناك حصل على درجة البكالوريوس بعد ثلاث سنوات في التشريح البشري، وبعد عامين من الدراسة الجادة حصل على درجة الدكتوراه في علم الأجناس البشرية وكانت أطروحته لنيل الدرجة العلمية الرفيعة عن سكان مصر في عهد ما قبل الأسرات حتى العصر الروماني من الناحية الأنثروبولوجية، وتعد هذه الرسالة من أوفى ما كتب في هذا الموضوع الدقيق.

قضى البطراوي خمس سنوات في إنجلترا تزود خلالها بمناهج العلم الحديث ودرس وطالع خلاصة النتائج العلمية في علم التشريح، ثمّ عاد إلى القاهرة ليعمل في كلية الطب قسم التشريح، أستاذاً ومعلماً لمئات من طلابه، ولم يكن ميدان التدريس هو الذي انصرف إليه البطراوي كلية، بل كان له نشاط علمي بارز فكان عضواً بجمعية علم الحيوان المصرية، ثم وكيلاً لها، وعضواً بالمجمع البصري للثقافة العلمية وعضواً بأكاديمية العلوم المصرية وجمعية تاريخ الطب، على أنّ أبرز أنشطته كانت دعوته إلى تعريب الطب وتدريس الطب باللغة العربية مع وضع مصطلحات طبية باللغة العربية، والإسراع في ترجمة المراجع الوافية وملاحقة الجديد في عالم الطب، بالإضافة إلى أهميه توفر الأساتذة المتمكنين من اللغتين، والمتحمسين للعربية لغة العلم والأدب.

لم يكتفِ البطراوي بالقول دون العمل والدعوة دون التطبيق، فنهض مع بعض زملائه إلى ترجمه كتاب من أعظم المراجع العلمية المعروفة في علم التشريح الأناتومي، فترجم ثلث الكتاب بمفرده في نحو ١٠٠٠ صفحة، وراجع ترجمة الثلث الأخير منه، ومن الجدير بالقول: إنّ القيام بمثل هذا العمل الجبار يقتضي تمكناً عظيماً من اللغتين، وهنا تظهر مهاراته المتفوقة في علم التشريح وقدرته على وضع المصطلح العربي الدقيق لمقابله الإفرنجي، فكان هذا العمل الجبار رسوله إلى مجمع اللغة العربية، فاختير عضواً فيه، وقد أقام المجمع حفلاً كبيراً لاستقباله، وهذه سنة متبعة في هذا المجمع أن يقام احتفال للعضو الجديد يلقي فيه أحد الأعضاء كلمة صافية في استقبال الوافد الجديد تتضمن الترحيب والتعريف به وبجهوده العلمية، وقد ترك البطراوي نتاجاً علمياً من المؤلفات والبحوث والدراسات والتقارير العلمية، بعضها نشر باللغة الإنجليزية وهو أكثر إنتاجه، وبعضها الآخر نشر باللغة العربية، كما أن له بحوث عديدة ومهمة تستحق الإشادة، وقد توفي عام ١٩٦٤م.

وجيه البارودي

هو علم من أعلام الطب والشعر في حماه وسوريا، وقد قيل : حماه هي نهر العاصي والنواعير ووجيه البارودي، ولد البارودي في حماه عام ١٩٠٦م، ونشأ فيها وقد كانت أسرته ميسورة مبسوطة الحال، فأرسلته مع مجموعة من أولاد عمومته للدراسة في بيروت عام ١٩١٨م، وتابع دراسته في الجامعة الأمريكية ليتخرج منها طبيباً ممارساً عام ١٩٣٢م، وقد مارس الطب في حماه إلى أن توفاه الله عام ١٩٩٦م، وقد تم تكريمه طبيباً، فقد قدم له وزير الصحة الدكتور إياد الشطي عام ١٩٩١م درع الوزارة لأنه أقدم طبيب في سوريا، وظل على رأس عمله ما يزيد على الستين عاماً من عمره، كما تم تكريمه شاعراً حيث أقيم له احتفال كبير بمناسبة بلوغه السبعين في عام ١٩٧٥م، وقد تحدث فيه نخبة من أدباء الشام وباحثيه ونقاده وشعرائه، وقدم له محافظ حماه كاس الشعر.

تكونت شاعريته في رحاب الجامعة الأمريكية، فقد كوّن مع مجموعة من زملائه وهم من المشهورين في حقل الأدب عمر فروخ اللبناني وإبراهيم طوقان الفلسطيني وحافظ جميل العراقي جمعية أسموها دار الندوة عام ١٩٢٦م، ومنذ تلك الفتره انطلق صوته الشعري يصدح بأعذب القصائد وأحلى الأشعار، وقد عاش البارودي في حماه متمرداً ثائراً وعاشقاً متفانياً وطبيباً إنسانياً وشاعراً متفرداً، وقد طبع ديوانه الأول: بيني وبين الغواني عام ١٩٥٠م، ثم ديوانه الثاني: كذا أنا عام

١٩٧١م، ثم ديوانه الثالث سيد العشاق عام ١٩٩٤م، بالإضافة إلى مجموعة من القصائد المبعثرة في الصحف والمجلات والتي تنتظر من يقوم بجمعها في ديوان.

الغزل كان من أبرز ما نجده في دواوين هذا الشاعر المبدع، فقد ظل طيلة حياته متلهفاً للجمال لا يكبح جماحه كهولته أو شيخوخته، كما صور في شعره كثيراً من اللقطات التي مرت في حياته، فكانت صوراً واقعية، فيها الكثير من الطلاوة والجمال والدعابة أو النقد للمجتمع والحياة في حماه، أما عن شخصيته فقد كانت أغنية فيها التسامح والانفعال والوضوح والجرعة والتفاني والحب، وقد عكس لنا شعره روحه وحياته التي حفلت بالأحداث العامة والخاصة، فقد ظل محباً وطبيباً معالجاً متفوقاً حتى صار مرجعاً للحالات المستعصية، كما ظلّ على هذه الروح العاشقة والناقدة لكثير من المظاهر في مدينته التي يراها أجمل المدن في العالم.
قصائد وشعر وجيه البارودي تمثل ترجمة صادقة لحياته التي عاشها، ففيها معاني الألم والحبّ بكل صراحة ووضوح، وبعيداً عن الغموض والالتباس تكاد تكون تفسيراً حقيقياً للواقع المعاش الذي عاصره، وكثير من النقاد يعزون هذا الشيء إلى مهنته الطب التي لا تعرف هي الأخرى أي معنى للالتباس أو الغموض أو المداراة.

وللدكتور وجيه البارودي آراء حول الشعر والأدب، شأنه شأن بقية المبدعين والمتفردين، فيقول: الشعر لا يأتي بلا حب، فإما جاء قسراً فهو نظم أجوف، وإما جاء انسياباً مثل النهر وهذا هو مذهبي الشعري، فالحب هو الذي وضعه شاعراً ووضع بين يديه قيثارة الشعر، وفي بعض الأحيان يبدي الدكتور البارودي إعجابه ببعض الشعراء كجميل بثينة وقيس بن الملوح وعمر بن أبي ربيعه ونزار قباني

وعمر أبو ريشة، ولكنّه مع ذلك يفضل نفسه عليهم جميعاً، فلا أحد يسبقه ولا أحد يلحقه، وله موقف واضح من شعر الحداثة أو الشعر الجديد منذ أوائل ظهوره حيث كان جسراً برزخياً بين العمود والحداثة في مرحلة بين بين.

إن آراء البارودي وأفكاره حصيلة تكوينه الأدبي والثقافي، وتجربته في الحياة تعتبر صدى لما يتردد في الساحة العربية أنه الطبيب الذي أبدع طباً ومداواةً في عيادته، ولكن شهرته العربية تفيض مجداً وخلوداً له من خلال قصائده وشعره الإبداعي، وإذا كنا نجد في بعض أفكاره ومواقفه شيئاً من القلق والاختلاف فهذا من أهم مميزات الشاعر الفنان التي تثبت عنده الشاعرية بينما تتذبذب المواقف والأمزجة باختلاف المؤثرات .

حسن هادي الجباوي

لم تخلُ أشعاره من ذكر نهر الفرات أو مسقط رأسه مدينة الحلة أو وطنه العراق، كان دائم الحنين لهذه العناصر الثلاثة، دائم التفكير بها في الجد والمرح، في الرسائل وعبر الكلمات التليفونية الطويلة، غادر العراق عام ١٩٥٩م، فدرس الطب في ألمانيا ولم يعد إليه إلا في عام ١٩٧٦م حيث أمضى فترة قصيرة، ثم غادره ولم يرَه ثانية، كان المرحوم شديد التوق لتراب وطنه، فكتب وصيته أن يوارى جسده إذا مات تحت ثرى العراق مع بقية الراحلين من أهله، لقد أثبت رغبته هذه في وصيته لكن الأوضاع الاستثنائية في العراق حينها حالت دون تنفيذ رغبته.

كتب الدكتور حسن الجباوي الكثير من الأشعار وكلها من شعر النثر عن العراق ومحنته، وقد نذر قلمه الأدبي لوطنه وشعبه، فبالرغم من نجاحه طبياً حيث كان اختصاصياً أول بدرجة الدكتوراه في طب الجهاز التنفسي، وقد تزوج من سيدة ألمانية فاضلة وقفت معه في أحرج وأحلك الظروف إلا أنه لم يؤثر النعمة والراحة والعيش الهنيء على ألم المواطنة والتغرب عن البلاد والأهل، فكان نموذجاً للمواطن الصالح كما كان مثالاً للتجمع لإبداع الأصيل في شخصيته.

كان الدكتور حسن الجباوي يتهيّب نشر أشعاره وقصائده في الصحف والمجلات وسائل الإعلام الأخرى لا سيما مواقع الإنترنت، ولطالما شجعه أهله وأصحابه إلى ألّا يتهيب الأمر، وأن يبادر إلى نشر ما يكتب، فقد كان الجباوي كثير التردد تجاه نشر أعماله الإبداعية رغم مستواها الرفيع، وعندما تفاقم مرضه الأخير الذي

أودى بحياته، طلب منه أحد أصدقائه أن يرسل له كل ما لديه من أشعار كي يتولى نشرها وإيصال أدبه وصوته وحنينه لأهله وأصدقائه في العراق والعالم العربي، ولم يستطع الجباوي أن يقوم بهذه المهمة في حياته، ولكنه أوصى زوجته الألمانية أن تقوم بذلك، وبالفعل نفذت الزوجة المخلصة وصية زوجها الراحل، وجاء مبشرها يحمل إليها قصائد زوجها الطبيب الشاعر كاملة، وقد طبعت بعنوان الأعمال الكاملة للشاعر العراقي الكبير حسن هادي الجباوي.

لقد كان التردد والخوف هما أهم عائقين أمام شهرة الجباوي، ولذا مات ولم ينل حظه من الشهرة أو التقدير والإعجاب، وهذا حال بعض الشعراء العرب في المهجر الأوروبي، فكثير من الكتاب والأدباء الذين يعرفونه وقد اعترفوا بشاعريته وخصوبة معانيه، واعتبروا رحيله فادحاً للشعر العربي في المهجر الأوروبي، ليس هذا المهم أن نعرفه بقدر ما يهمنا أن ندرك وطنيته الخالصة التي جسدها كتاباته الإبداعية في شعره بالرغم من نجاحه وتفوقه كونه طبيباً متميزاً ورائداً في بلد عرفوا أنهم أساطين الطب ورواده على مستوى العالم.

عصام خوقير

هو الأستاذ الدكتور عصام خوقير أول من كتب مسرحية باللهجة المحلية العامية السعودية، وهو كاتب ساخر احتفت به الأوساط الثقافية في عدة محافل أدبية نظير ما قدمه من أعمال إبداعية في مجال الأدب عموماً، وفي المسرح على وجه الخصوص، وقد ولد بمكة المكرمة عام ١٩٢٧م، وابتعث إلى القاهرة وقد التحق بكلية الطب القصر العيني حيث تحصل على بكالوريوس طب وجراحه الأسنان، ثم عمل بعد عودته إلى المملكة بوزارة الصحة، وتحديداً في الصحة المدرسية بمكة المكرمة، ثم بالمستشفى المركزي في المدينة المنورة، ثم في الشؤون الصحية في المدينة، ثم بالصحة المدرسية بجدة.

يعتبر الدكتور عصام خوقير من ألمع الكتاب الذين عرفتهم الصحافة السعودية في وقت مبكر، وتتميز كتاباته بالعبارة الساخرة والصور الكاريكتيرية المؤثرة، وقد كتب القصة الطويلة والقصيرة والمسرحية والمقالة الاجتماعية، وله عدة مؤلفات منها: السعد وعد، في الليل لما خلي، وزغرودة الليل، وأنا وزوجتي، والدوامة، والسنيورة، بالإضافة إلى عشرات المقالات والبحوث، ويؤكد الدكتور عصام خوقير دائماً على أن العمل المسرحي يكون كائناً حياً على خشبة المسرح، فالكتابة المسرحية بدون أن تعيش تفاصيلها على خشبة المسرح، فهي كتابة بدون حياة، وكاتبها أشبه بمن يصدر شهادة وفاة لما يكتب بدون خشبة المسرح، فالدكتور

خوقير يعشق المسرح عشقاً جنونياً، ولذا تجده كان يطالب بتطوير المسرح في كل مقابلاته وأحاديثه الصحفية نظراً لما يمثله المسرح في وجدانه وأدبه وحياته.

يقول عنه الأستاذ محمد عبدالرزاق القشعمي: أول ما قرأت للدكتور عصام محمد علي خوقير قبل نحو ستين عاماً، بعد عودته للمملكة وبداية عمله بالصحة المدرسية بمكة المكرمة، وبداية كتابته الصحفية الساخرة ونقده الممتع، ومع بداية الستينيات الميلادية - الثمانينيات الهجرية وتطور جريدة المدينة وبداية الكتابة بالألوان بعد انتقالها من المدينة لتصدر من جدة حيث المطابع الحديثة (الأصفهاني)، بدأ خوقير بمقال أسبوعي في الصفحة الأخيرة مع كتاب آخرين أذكر منهم الدكتور عبد الله مناع والأساتذة محمد حسن عواد وعبد الله الجفري ومحمد حسين زيدان وغيرهم، وكانت العناوين باللون الأحمر المثير واللافت، وعندما بدأ يكتب القصص والروايات ويصدرها ازدادت معرفتي به من خلال ما أقرأ له.

وقد احتفى به الشيخ عبد المقصود خوجه في اثنينيته بتاريخ ١٤١٨/٥/٥هـ، ١٩٩٧/١٠/٦م وقال عنه عند تقديمه: (إنّ ضيفنا الذي تخصص في طب الأسنان وجد في الأدب ضالته التي أفرغ فيها مكنون نفسه التواقة إلى جماليات اللغة، شأنه في ذلك شأن كثير من الأطباء الذين اتجهوا إلى الأدب والفكر بجانب تخصصهم المهني، أمثال الدكاترة: عبد الله مناع، ومحمد علي البار، ومصطفى محمود، ويوسف إدريس، وغيرهم، وليس في ذلك غرابة لأنّ بذرة الإبداع عندما تنمو لا يعنيها إن كان حاملها أديباً مطبوعاً، أم متمرداً على الإطار الذي أوجدته فيه ظروف الحياة والتخصصات المهنية.

وعندما توفي الدكتور عصام خوقير رثاه معظم الكتاب والصحفيين نظراً لما كان يمثله من إبداع أدبي في الساحة الثقافية السعودية، قال عنه الدكتور عبد المحسن القحطاني (رئيس نادي جدة الأدبي السابق): عصام خوقير أديب وروائي وقاص لا تذكر الحركة الروائية والقصصية في المملكة إلا ويذكر اسمه، ولا شك برحيله خسرت القصة واحداً من روادها المرموقين، وقال السفير عبد الله آل الشيخ: فقيد الطبّ والرواية والأدب والخُلق الرفيع، عرفته عن قرْب عندما لمع اسمه في صحافة الزّمن الماضي، لقد فقدنا برحيل الدكتور عصام صفحة علم وأدب وطبّ، وكذلك قال الفنان محمد بخش: الدكتور عصام خوقير يرحمه الله قدم للأدب السعودي الكثير من العطاء المميز منذ البدايات ولا يمكن أن ننسى أعماله الأدبية من روايات ومسرحيات، ندعو الله له بالرحمة والمغفرة.

الطبيب إنجليزي يكتب أشهر شخصية تحرِ في العالم

فراغه الذي كاد يقتله في عيادته مكنه من كتابة شخصية أسطورية خارقة في اكتشاف الجرائم وطرق حلها، بل إنها أضحت أشهر شخصية أسطورية للتحري في العالم، وقد ساعده على ذلك خياله الخصب وموهبته الفذة وقدرته العجيبة على رسم الشخصيات في روايته وتصويرها بشكل يجذب القراء ويدهشهم، ولا غروا فالإبداع يكمن وراءه الشغف الشديد والولع العظيم تجاه الهواية والحرص على تطويرها والاهتمام بها بالتزود من المهارات اللازمة لإتقانها.

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدمبره باسكتلندا سنة ١٨٥٩م، وقد اشتهرت الشخصية التي ابتدعها شيرلوك هولمز بأنه رجل التحري الذكي القادر على فك ألغاز الجرائم، وحل المعضلات البوليسية الشائكة معتمداً على إمكاناته الذهنية وقوة الملاحظة واتباع طريقة الملاحظة والتحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها ومخترعها.

هجر السيد آرثر كونان دويل مهنة الطب بعد أن مارسها حوالي ثماني سنوات، وبعدها اتجه إلى الأدب، هناك حيث يكمن شغفه العارم، وقد استطاع أن يبدع فيه أيما إبداع، فكانت حياته الأدبية قد بدأت من العام ١٨٨٧م بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله، وقد قدمت العديد من رواياته وقصصه

للجمهور بعد أن تحولت إلى أفلام سينمائية ناجحة وأفلام كرتونية متخصصة للأطفال.

يقول الناقد كريستوفر مورلي عن شخصية شيرلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصية روائية هذا الحظ من القدرة على إمتاع القراء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز، فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النزر اليسير من المرضى، كان يجد وقتاً كبيراً من الفراغ في كتابة القصص القصيرة والتي لم تنل حظاً من النجاح في البداية إلا أنه وبعد نشر روايته الأولى عن شيرلوك هولمز سنة ١٨٨٧م، أخذ نجمه في الصعود وبلغ مجموع القصص والروايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي ٦٠ عملاً، كلها من القصص القصيرة حتى أصبح السير دويل من أكثر كتاب القصص القصيرة دخلاً وأجراً في عصره.

أنشأ السير آرثر دويل شخصية شارلوك هولمز بناءً على شخصية أستاذه في جامعة ادنبره جوزيف بيل، وهو جراح موهوب، ومحقق جنائي في وقت كان فيه علم الأدلة الجنائية حديثاً نسبياً، وعلى أي حال، فإن بيل كتب إلى كونان دويل بعد عدة سنوات قائلاً: إنك أنت نفسك شارلوك هولمز، وستعلم ذلك، أما اسم هولمز فقد أخذه من اسم أوليفر ويندل هولمز، وهو طبيب وأديب عاش في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكان كونان دويل معجباً به، وأما اسم شيرلوك فهو من اسم لاعب كركت إنجليزي يسمى شيرلوك، بينما تقول الفكرة الشائعة أن اسم شارلوك مخترع من قبل خيال آرثر كونان دول ولا وجود لاقتباس له.

يصور السير آرثر دويل شخصيته هولمز بأنه يرتدي قبعة صائد الأيائل، وعباءته طويلة، مدخناً غليوناً وممسكاً بعدسة مكبرة، وهذه الصورة هي أكثر المظاهر المعروفة في شخصية المحقق التاريخي وأكثرها شيوعاً، وبقيت قبعة صائد الأيائل رمزاً لشخصية المحقق رغم أن هذا ليس من اختراع كونان دويل الذي أشار إلى هولمز بأنه مرتدياً قبعة رحلات في القصص الأصلية فقط عندما اضطرته تحقيقاته إلى السفر نحو الريف بل من اختراع رسام القصص سيدني باجيت، كما يصف السيد آرثر دويل شخصيته هولمز بأنه سيد إنجليزي من الطراز الفكتوري، طويل ورشيق، له عينان حادتان ودقيقتان وأنف معقوف، وبالرغم من قامته النحيلة فإن له قدراته البدنية عالية المستوى، فهو ملاكم بارع ومبارز ماهر، وعادة ما يتغلب على خصومه في المرات القليلة التي يضطر فيها للاشتباك جسدياً.

مايكل كرايتون

ولد الدكتور مايكل كرايتون في شيكاغو، إلينوي في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٢م، لكنه عاش وترعرع في لونغ آيلند في ولاية نيويورك، وقد درس في جامعة هارفارد سنة ١٩٦٤م، ثم حصل على درجة الزمالة الطبية من معهد سولك في كالفورنيا، وبعدها عمل في معهد العلوم الطبية الشهير (اساتشوستسي)، وفي أثناء عمله طبيبًا، كان يكتب روايات عديدة بأسماء مستعارة، وقد كتب إحدى الروايات بمساعدة أخيه (دوغلاس)، وكان الاسم المستعار لكاتب تلك الرواية هو مايكل دوغلاس.

تحدث كرايتون عن طفولته فقال: كانت روزلين عالمًا آخر، بالنظر إلى الوراء، كانت الأحداث التي لم تحصل لافتة للنظر، لم تحصل هناك أمور مروعة، لا خوف على الأطفال من الإساءة، لا خوف من القتل العشوائي، لم نكن نعرف عن تعاطي المخدرات شيئاً، كنت أرتاد المدرسة مشيًا، وقد ركبت دراجتي لأميال وأميال لمشاهدة فيلم في سينما الشارع العام، وإلى دروس البيانو وما شابه ذلك، وقد تمتعنا كأطفال بالحرية، لم نعش عالمًا خطرًا، درسنا بجد وقتها وقد حصلنا على تعليم جيد جدًا هناك.

دائماً ما طمح كرايتون لأن يصبح كاتباً، وقد بدأ دراسته في كلية هارفارد سنة ١٩٦٠م، وخلال دراسته الجامعية للأدب، أجرى تجربة لفضح أستاذ اعتقد أنه كان يعطيه علامات منخفضة على نحو غير اعتيادي وينتقد أسلوبه الأدبي، أبلغ أستاذاً آخر عن شكوكه، ثم قدم كريشتون مقالة للكاتب الكبير جورج أورويل باسمه

بدلاً من مقالته، أعاد له أستاذه الورقة التي لم يكن على علم بحقيقتها مع علامة (بي+)، قال بعدها: كان أورويل كاتبًا رائعًا ، فإن كان جلّ ما يستحقه هو علامة بي+، فمن الأفضل لي ترك مجالي الدراسي في الأدب الإنجليزي!

قاد اختلاف كرايتون مع قسم اللغة الإنجليزية إلى تغيير تخصصه الجامعي، حصل على درجة البكالوريوس في علم الإنسان الحيوي (الأنثروبولوجيا البيولوجية) بتقدير ممتاز في عام ١٩٦٤م، وانخرط بعدها في جمعية فاي بيتا كابا، حصل بعدها على زمالة هنري راسل، وعمل محاضرًا زائرًا في علم الإنسان في جامعة كامبريدج في المملكة المتحدة في عام ١٩٦٥م، التحق كرايتون بعدها كلية هارفارد الطبية، قال كرايتون لاحقًا: بعد نحو أسبوعين في كلية الطب، أدركت أني أكره تخصصي، وهذا ليس بالأمر غير المعتاد، الجميع يكره كلية الطب، حتى الأطباء الممارسون السعداء أنفسهم.

امتاز أسلوب كرايتون بالإفراط في توثيق الاستطرادات العلمية بحيث يجعل من الرواية مزيجاً من الفن والدراسة الأكاديمية، ولكرايتون إيقاعه الخاص في قصصه بحيث يكتب الأحداث على شكل فقرات ممزوجة الفقرة الأولى للحدث والثانية يخصصه للتفسير العلمي لهذا الحدث وكالعادة يقضي روايته دائماً بحشد من المراجع العلمية التي لجأ إليها.

لمايكل كرايتون أيضاً بعض الكتب العامة بعيداً عن مجال الروايات ففي كتابه **Electronic Life** قدم جهاز الكمبيوتر الذي كان اختراعاً جديداً في ذلك الوقت إلى الناس وبسط لقراء الكتاب عمليات الكمبيوتر.

الدكتور محمد شرف

ولد الدكتور محمد شرف في شبرابتوش بمركز تلا بمحافظة المنوفية في سنة ١٨٩٠م، وبعد أن حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، التحق بالتعليم الابتدائي فنال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٣م، والثانوية سنة ١٩٠٨م، وفي هذه السنة التحق بمدرسة الطب المصرية فقضى فيها ثلاث سنوات ثم تركها ليتم دراسته في إنجلترا فتخرج سنة ١٩١٤م .

وفي أثناء دراسته بلندن أظهر نبوغًا وتفوقًا جعل مستشفى سانت چورچ الذي كان يتمرن فيه أثناء دراسته يوفده ممثلًا له في جمعية الصليب الأحمر في حرب البلقان سنة ١٩١٢م، ولما عاد إلى مصر بعد تخرجه عرضت عليه حكومة تركيا إحدى الوظائف الكبرى، لكنه آثر أن يخدم بلاده، فالتحق بمستشفى العباسية، ثم عمل في غيره من المستشفيات، وشغل آخر حياته منصب وكالة كلية الطب بجامعة القاهرة.

لقد أغرم الدكتور شرف بحب العربية منذ صغره، ودعاه ذلك إلى خدمتها في ميدانه، فعمل عقب تخرجه على إخراج معجم خاص بالمصطلحات الطبية، وقضى في ذلك عشر سنوات وكان لهذا المعجم دويّ عقب ظهوره، مما حدا (الجمعية الطبية المصرية) التي هالها تعدد المصطلحات في العلوم الطبية، إلى الدعوة إلى توحيدها، ورأت أنَّ خير وسيلة هي الاكتفاء بالمصطلحات الواردة في هذا المعجم، ورحبت بكل اقتراح أو تصحيح لأي لفظ وارد بالمعجم، أو وضع ألفاظ جديدة لم ترد به، وشكلت الجمعية لجنة لفحص جميع ما يصل إليها من الاقتراحات في هذا

الشأن، وإقرار الصالح منها لإدخاله في الطبعات التالية، إن الدكتور محمد شرف كان من المؤمنين بفكرة المجمع اللغوي، وهو أحد الدعاة إليه، وكان من رأيه ألا يقتصر المجمع على المشتغلين بالأدب واللغة، بل يكون معهم جماعة من المهندسين والأطباء وعلماء الزراعة والصناعة والمتخصصين في اللغات السامية كالعبرية والآرامية والسريانية والحبشية.

وللدكتور شرف مجموعة من المؤلفات القيمة عدا معجمه الذي أشرنا إليه، رسالتان هما: مصطلحات النبات والمصطلحات العلمية الطبية والنباتية، هذا بالإضافة إلى ما نشر له من بحوث رصينة في المجلات العلمية، أما نشاطه المجمعي، فقد حرص المجمع على أن يضمه إلى أسرته فاختاره عضوًا عاملًا به سنة ١٩٤٦م ضمن الأعضاء المصريين العشرة الذين صدر مرسوم بتعيينه، وقد أسهم في مجلس المجمع ومؤتمره بالبحثين التاليين: ١- مادة "أبد" كنموذج للمعجم الكبير، (د ١٣ جلسة ٢٢ للمجلس). ٢- الفرق بين الحلق والحلقوم، (د ١٥ جلسة ٤ للمؤتمر)، وقد اشترك في عدة لجان بالمجمع منها: لجنة الكيمياء والطبيعة، ولجنة المعجم الوسيط، ولجنة علوم الأحياء والزراعة، ولجنة المعجم التاريخي، ولجنة لدراسة معجم فؤاد فوجي.

قال عنه الدكتور علي توفيق شوشة يوم تأبينه: لقد رزق فقيدنا الكريم حمية للعمل، وغيره على اللغة وفيضانًا من الصبر على التحصيل والتنقيب والتحقيق، وتوقانًا إلى التجويد والإتقان – إلى حافظة رحبة وإدراك سليم. (مجلة المجمع ج ٧).

ويقول أيضاً عنه: كما كان الدكتور محمد شرف قصير الإقامة في المجمع، كما كان قصير الإقامة في الحياة، ولو لم يكن له إلا قاموسه الطبي لكفى لتخليد حياته العلمية، كنا قد اشترينا في شبابنا الطبعة الأولى لهذا القاموس بجنيه، ولكننا بقينا سنين طويلة، كلما كشفنا عن كلمة في القاموس قلنا: هذه الكلمة وحدها تكفي للجنيه الذي دفعناه ثمنًا للكتاب كله، والآن وصلت طبعته الجديدة إلى ثمن أغلى من ذلك كثيرًا، وندرك الآن، في شيخوختنا أن قيمة الكلمة الواحدة في هذا المعجم تفوق أيَّ ثمن لطبعته الجديدة.

موري أوغاي

يشتهر موري أوغاي الأديب والطبيب الياباني البارز في عصري ميجي وتايشو بأعماله الأدبية مثل روايات (الفتاة الراقصة)، و(المأمور سانشو) ، و(القارب على نهر تاكاسي)، ويصادف عام ٢٠٢٢م ذكرى مرور مئة عام على رحيله، فكيف كانت حياة أوغاي الذي كان أديباً، وعالم طب، وطبيباً عسكرياً، وحتى موظفاً حكومياً؟

وُلد موري أوغاي، والذي كان اسمه الحقيقي موري رينتارو، في عام ١٨٦٢م لعائلة طبيب من مقاطعة تسووانو (بلدة تسووانو في محافظة شيماني حالياً)، وكان من المتوقع أن يصبح أوغاي أيضاً طبيباً، وتلقى تعليماً خاصاً بالموهوبين من مرحلة مبكرة، وقد تعلم أولاً الكونفوشيوسية، والتحق بمعلمه في سن الخامسة، وفي سن السابعة التحق بمدرسة يوروكان التابعة للمقاطعة، وتعلم الكتب الأربعة والكلاسيكيات الخمسة (كتب الكونفشيوسية الأساسية)، وبالإضافة إلى ذلك درس العلوم الغربية، وبدأ تعلم اللغة الهولندية بعد تلقيه الأساسيات الأولى لها من والده شيزواو الذي تعلم الطب الغربي.

وفي عام ١٨٧٢م انتقل أوغاي مع والده إلى طوكيو في سن العاشرة، ثم انتقلت العائلة بأكملها من تسووانو إلى طوكيو، ونظراً لتغير الاتجاه السائد للطب الغربي الذي يدرسه الأطباء من الطب الهولندي إلى الطب الألماني، درس أوغاي اللغة الألمانية في مدرسة خاصة، والتحق بالمدرسة الطبية في المنطقة الجامعية الأولى في سن الحادية عشرة، وفي العام التالي تم تغيير اسم المدرسة إلى مدرسة طوكيو الطبية، وأصبح اسمها كلية الطب في جامعة طوكيو في عام ١٨٧٧م، وتم إجراء

التعليم الطبي في جامعة طوكيو باللغة الألمانية من قبل أساتذة ألمان، ولكن في نفس الوقت، درس أوغاي الشعر الصيني على يد أحد علماء العلوم الصينية خارج الجامعة، وقرأ كتب الطب التقليدي الصيني، والتحق بأستاذ للعلوم اليابانية الوطنية وتعلم الشعر الياباني التقليدي، وهكذا تعلم أوغاي من الصغر وحتى المراهقة العلوم اليابانية والصينية والغربية، وتعلم لغات متعددة.

بعد عودته إلى اليابان، اقتحم أوغاي عالم الأدب مع عمله كطبيب عسكري، وقام بنشر إبداعاته وترجماته الواحدة تلو الأخرى، بدءاً بمجموعة شعرية مترجمة تحت عنوان: أوموكاغي (ترجمة مشتركة، عام ١٨٨٩م)، ورواية (الفتاة الراقصة) (عام ١٨٩٠م)، وبالإضافة إلى ذلك، انتقل بقلمه إلى النقد في مجلة (شيغارامي زوشي) التي أسسها بنفسه في عام ١٨٨٩م، وخاض عدداً من المناظرات الأدبية متسلحاً بمعرفته بالأدب الألماني وعلم فلسفة الجمال، ومن خلال أنشطة التنوير الثورية هذه، قاد أوغاي فجر الأدب الياباني الحديث.

ومن الجدير بالقول إنّ ترجمات أوغاي قد بعثت روحاً جديدة في عالم الأدب الياباني، ومن بينها ترجماته إلى اللغة اليابانية لأشعار غوته (شاعر وأديب ألماني) (قصائد مينيون) وقد جُمعت في المجموعة الشعرية (أوموكاغي) ورواية المرتجل (Improvisatoren) لأندرسن (شاعر وأديب دنماركي)، والمسرحية التراجيدية (فاوست) لغوته وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى، والتي كان لها تأثير كبير وعظيم على الشعراء والكتاب اللاحقين.

وبطل العمل الأدبي الرئيسي رواية (مايهيمي) في بداية حياته الأدبية هو أوتا تويوتارو، وهو موظف حكومي ياباني تم إيفاده إلى ألمانيا، وفتح تويوتارو عينيه على

وعي الفرد الحر خلال حياته في برلين، ووقع في حب فتاة راقصة فقيرة تُسمى إليس، ولكنه كان في وضع لا يمكنُّه من التوفيق بين حياته العاطفية مع إليس ومستقبله والنجاح في حياته بعد عودته إلى اليابان، وبعد المعاناة، تخلى عن إليس وعاد إلى اليابان، وهذه الرواية التي تصور المواجهات والصراعات بين الثقافات المختلفة، مكتوبة بأسلوب أدبي هجين من الأساليب اليابانية والصينية والغربية، يمزج بين أسلوب كانبون كوندوكو (أسلوب يمزج بين اليابانية الأصلية والصينية التقليدية)، وأسلوب كابونتاي (أسلوب الكتابة بلغة يابانية كلاسيكية خاصة بالنبلاء)، وأسلوب ترجمة الأدب الأوروبي.

كان موري أوغاي عملاق معرفة متعدد التخصصات، حيث جمع بين العلوم اليابانية والصينية والغربية، وبالإضافة إلى تخصصه في الطب، خاض في علوم في مجالات متعددة مثل فلسفة الجمال والبحث التاريخي وغيرها، وعمل كطبيب عسكري وكموظف حكومي، وفي مجال الأدب، كتب جميع أنواع الأعمال الأدبية مثل الروايات، والنقد، والمسرحيات، والشعر.

أمير تاج السر

أحياناً يصبح المبدعون العظام حاجزاً منيعاً أمام ولادة موهبة جديدة، وفي التاريخ حكايا كثيرة حول هذا الموضوع، ولعل السيدة أم كلثوم خير برهان في الغناء المصري، وكذلك كان الأديب الكبير الطيب صالح في الرواية السودانية، والذي لقب بعبقري الرواية العربية، لكن بعض المبدعين لديهم تمرد على هذه القاعدة، لا يريد للمبدعين العظام أن يتحولوا إلى حاجز منيع أمام موهبتهم المتدفقة، ومن هؤلاء الطبيب الدكتور أمير تاج السر ابن أخت الروائي الطيب صالح، فلم يسمح لعبقرية خاله أن تتحول إلى كابوس أمام أحلامه، ولم يقبل بروحه المتوهجة إلا أن تكون علامة فارقة في تاريخ الرواية السودانية الحديثة.

كذلك لم يسمح هذا الطبيب المرهف أن تتحول سماعة الطبيب التي يحملها إلى عائق أمام إبداعاته الأدبية، كتب الشعر في بداياته، ولكنه هجره بعد أن أدرك أن روحه تهيم بالفن الروائي، فقدم أعمالاً روائية فريدة في حبكتها الفنية الإبداعية ولا تقل أهمية عن أعمال الروائي الكبير الطيب صالح.

وحول علاقته بين الطب والأدب يتحدث عن رؤية والده التي كانت ترى تعارضاً عنيفاً بين المجالين، فيقول: في البداية، أيام الشعر، وأنا طالب، كان والدي عنيفاً، هو يريدني أن أدرس الطب، وظنَّ أنّ الكتابة تؤثر على الدراسة، وهو ما لم يحدث، حيث لا يوجد تعارض بين مهنة الطب والكتابة الروائية لديَّ أبداً، وإلا ما استمررت كاتباً وطبيباً، الطب يمنحني الاستقرار الحياتي، وأيضًا يمنحني الحكايات، والكتابة تمنحني الإشباع النفسي والروحي، فكثير من أصحاب المهن يكتبون مثل المهندسين والمحامين والمعلمين، لكن دائماً التساؤل يحيط بالأطباء وحدهم،

وأكيد لأنّ الطبيب يحتك بالإنسان أكثر، ويوصف دائماً بالوقار، عموماً مهنة الطب جيدة للكاتب رغم مشاقها، فهي تزوده بالتجارب اليومية، التي لا بد أن يجد فيها خامات لحكايات قد يكتبها، كما أنها تعلم الصبر، وهو شيء مطلوب بشدة لمن ابتلي بمسألة الكتابة هذه، وشخصياً استفدت كثيراً من مهنتي في اختراع عالمي الذي أكتبه، هناك سير روائية كتبتها من تجارب المهنة، وروايات استوحيت شخصياتها من شخصيات التقيتها في الواقع، تنقل الطبيب من مكان لمكان، أكسبني شيئاً من التنوع، في البيئة التي أكتبها.

كما تميزت كتابات الدكتور أمير تاج السر بخصوصية المكان الجغرافي، وتأثره بنشأته السودانية التي تجمع بين العروبة والطابع الأفريقي، وقد خاض مؤخراً مغامرة جديدة بإصدار رواية (اشتهاء) التي أعاد فيها كتابة أحد أعماله الأدبية الأولى التي كانت تحمل عنوان (صيد الحضرمية).

يقول أمير تاج السر عن خياله الروائي الخصب: ولأنني أحتفي بالخيال كثيرًا، ستجد حتى التقاطاتي فيها الكثير من التعديل، بمعنى أنني لا أكتب الشخصية كما هي في الواقع، بيئة بورتسودان أعطتني مفردات البحر، وتجد ذلك في مرايا ساحلية، و٦٣٣، والعطر الفرنسي، والحدود ألهمتني مفردات البداوة والأساطير، والميثولوجيا التي وظفتها في أعمال مثل مهر الصياح، أيضاً كتبت عن الجو الأفريقي عموماً في روايتي المعروفة إيبولا ٧٦، ورواية رعشات الجنوب التي تنبأت فيها بانفصال الجنوب عن الشمال، لكن أحب أيضاً كتابة الرواية التاريخية، وتجد شخصيات استلفتها من الحاضر وأدخلتها في روايات التاريخ، هكذا هو خيال المبدع خصب ومثمر ومتنوع، وهذا هو الروائي دائماً.

إيمان يحيى

يعتبر الدكتور إيمان يحي من الأعلام الثقافية في مصر، وهو طبيب وروائي وأديب ومترجم، ولد في عام ١٩٥٤م، وحصل على الدكتوراه في جراحة المسالك البولية عام ١٩٨٧م من الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت، ويعمل طبيباً وأستاذاً في كلية الطب بجامعة السويس، وعلى الرغم أنه كتب الرواية متأخراً إلا أن أعماله الأدبية حازت على إعجاب النقاد والقراء.

قرأت مقالاً بديعاً للكاتب الدكتور أحمد زكريا الشلق يتحدث فيه عن الطبيب الأديب إيمان يحي، يقول فيه: أحياناً يغوص الأدباء فى التاريخ ويتمثلونه ليقدموا أدباً رصيناً وجميلاً يؤرخون فيه لحادث أو فترة من الزمن فيكون التأريخ بالأدب كما فعل الدكتور إيمان يحي الذي برز في السنوات الأخيرة كاتباً روائياً حاذقاً وماهراً، إلى كونه أستاذاً جامعياً في كلية الطب جامعة قناة السويس الذي فاجأنا أواخر عام ٢٠١٣م بروايته الأولى الكتابة بالمشرط المكتملة النضج، التي هيأت له مكاناً بين كبار الروائيين رسخّه بثلاث روايات تالية: (الزوجة المكسيكية) التي فازت بجائزة ساويرس فرع كبار الأدباء، ثم أعقبها بروايته (قبل النكسة بيوم) التي صدرت منذ مدة، وكانت مفاجأته الأخيرة هي رواية (رصاصة الدلبشاني) التي صدرت عن دار الشروق منذ شهور، لقد بدأت أعماله الروائية ناضجة حتى خيل إليّ أنه كان يكتب ولاينشر، فمن الصعب أن نقول عن رواية الكتابة بالمشرط أنها روايته الأولى بالرغم من أنها كانت كذلك، رواية فذة مكتملة السبك والأركان ومحكمة الصنعة، عذبة اللغة في تدفقها وطلاوتها، وكان بروايته الثانية الزوجة

المكسيكية قد حقق اختراقاً إبداعياً مهماً للغاية بشهادة صديق عمره الأديب الكبير محمد المخزنجي الذي ذكر أن إيمان يمتلك قدرات سردية وأدبية لافتة وواضحة، لقد كانت عملاً روائياً هو الأهم، ليس في سياق كتابته فقط، بل في متن الرواية المصرية والعربية الحديثة.

اقتحم الدكتور إيمان يحي مجال الأدب متأخراً، والغريب العجيب أن رواياته جاءت محكمة التفاصيل الإبداعية وكأنه يمتلك خبرة عميقة في الكتابة الروائية، وهو يرى أن الأدب ليس إبداعاً فقط، بل أداة للمقاومة من وجهة نظره، وأداة مهمة للتأمل والتفكير في المشكلات التي تواجه الإنسان، والإحاطة بعمق، بأسبابها وأبعادها التي قد لا نراها بوضوح أثناء تعاملنا اليومي معها، فهو لا يكتفي بملاحظة تفاصيل الحياة ودقائقها، بل يمعن التفكير في مغزى الحياة والأحياء سعياً إلى فهم الأمور جيداً ووضع الحلول لها، كما يرى أنّ للروائي دوراً كبيراً في الكشف عن التاريخ الحقيقي المبرأ من الهوى السياسي والأديولوجي.

يؤمن الدكتور إيمان يحي بأثر الكتابة على المجتمع، ويؤكد دائماً في مقابلاته أن الكتابة الأدبية نجحت كثيراً في التغيير، لكن في هذا العصر أصبح الأمر من الصعوبة بمكان، لوجود وسائل أخرى كثيرة طغت على الناس وملكت عليهم ليلهم ونهارهم، لكن تظل الكتابة الأدبية أكثر عمقاً وأثراً في المجتمع من كل تلك الأمور المستجدة، وهي قادرة على حفر مجرى جديد.

فازت روايته الزوجة المكسيكية بجائزة ساويرس الأدبية، وقد تفوق الدكتور إيمان يحي على كتاب وروائيين كبار منافسين له، وهذا يدل على قيمته الأدبية الكبيرة التي تبوأها في السنوات الأخيرة، وقد علق على حصوله لهذه الجائزة بأن: الحصول

على جائزة كبيرة بحجم جائزة ساويرس الأدبية يجذب نظر القراء إلى الكتاب والكاتب، ولعلّ هذا أهم هدف من الجوائز، وأنا لا أنفي الحافز التشجيعي للكاتب عند حصوله على جائزة، لذا سعادتي بالغة بحصولي على جائزة معترف بنزاهتها واستقلالية لجنة تحكيمها وعدم وجود ضغوط عليها، الجوائز تمثل حافزاً تسويقياً للنشر، لكنّني لا أعتقد أنها تؤثر على آلية وفنية عمل الكاتب بشكل مباشر أو مؤثر، ربما عندما يحوز شكل روائي مستحدث جائزة ما، ويحدث انتشار لتقنيته يصبح ذلك حافزاً ينسج الكتاب على منواله.

الدكتور عبد العزيز الفارسي

هو الأديب والطبيب العماني عبد العزيز بن محمد بن ماجد الفارسي، ورغم بلوغه شهرة الأدب في عمان وحتى على مستوى الوطن العربي إلا أن الموت قد اختطفه وهو في عام ٢٠٢٢م وهو في سن السادسة والأربعين، وهو من مواليد ولاية شناص بمحافظة شمال الباطنة، وهو استشاري أول أمراض السرطان، تخرج في كليّة الطب بجامعة السلطان قابوس عام ٢٠٠١م، وحصل على عضوية الكلية الملكية البريطانية عام ٢٠٠٦م، وعمل طبيباً اختصاصياً أول في قسم الأورام بالمركز الوطني للأورام في مسقط، ونال عضوية الاتحاد العالمي لمكافحة السرطان والجمعيتين الأمريكية والأوروبية لطب السرطان.

بدأ الكتابة عام ١٩٩٨م، وقد أحرز عدداً من الجوائز في القصة القصيرة على مستوى السلطنة ودول الخليج العربي، كما صدرت له أعمال قصصية عدة؛ منها: (جروح منفضة السجائر) عن دار الكرمل بالأردن عام ٢٠٠٣م، و(العابرون فوق شظاياهم) عن مؤسسة الانتشار العربي بلبنان عام ٢٠٠٥م، و(مسامير) عن مؤسسة الانتشار العربي بلبنان عام ٢٠٠٦م، و(لا يفل الحنين إلا الحنين) الصادرة عن وزارة التراث والثقافة عام ٢٠٠٦م، كما صدر له كذلك في عام ٢٠٠٧م روايته الأولى التي حملت عنوان (تبكي الأرض.. يضحك زحل) عن مؤسسة الانتشار العربي، وهي الرواية التي فتحت له أبواب الشهرة على مستوى الوطن العربي، وقد اختيرت ضمن القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية البوكر في دورتها الأولى.

يقول الفارسي عن تجربته الروائية: إنّ الرواية عالم خلاب آسر يجذبني إليه أكثر كلما مر عليّ يوم، سأكون واقعياً جداً، لم يكن الوضع ليتغير كثيراً لو كتبت روايتي الأولى قبل خمس سنين، أو بعد سنتين من الآن، ففي النهاية أنا سأترك لكل رواية أنوي كتابتها مساحة كبيرة من الحياة والتأمل والمحاولة وإعادة الصياغة، وستنتهي حياتي وأنا روائي مقل، فالأهم بالنسبة إليّ هو نحت عالم متغير نابض يمتد من روحي إلى القارئ، ويدفعه إلى إعادة النظر في حياته، ولا أظن أنّ القراء سيقرؤون رواية جديدة لي قبل سنتين من الآن، إن كان مقدراً لي أن أكون روائياً معروفاً فما أعرفه أنه سيمر وقت طويل قبل أن يترسخ اسمي في أذهان محبي الروايات.

كتب عبد العزيز الفارسي أدبه الروائي والقصصي بلغة سلسة جميلة تترقرق كنهر عذب، تقول ما يريده الكاتب دون إعاقة ذهن القارئ بفك التراكيب المعقدة، وبين اللغة المبالغ في تراكيبها، وهو يرى أنّ اللغة السلسة مطلب جميل للقارئ، وضرورية لأي نص، لكنه لا يعتقد أنّ الاشتغال على اللغة بشكل كبير جداً من صالح النص، بمعنى أن نجاح النص في نهاية المطاف يقاس بمقدرته على تجاوز زمانه وتجاوز مكانه، وتسلله إلى الأعماق بخفة، ويجب أن يكون قادراً على ذلك في كل مرة تعاد فيها قراءة النص نفسه فقدرة النص على تجاوز مكانه وزمانه تعني منطقياً ألا تكون لعبته لغوية بحتة، فحين يتحدث الفارسي عن اللغة نفسها في مكان ما، فإنّ اللغة نفسها كائن متحرك متغير، وإذا تحدث عن عبور النص للغات أخرى فهو يرى أنّ النص الأنجح هو الذي لا يفقد وهجه في عملية العبور تلك،

وهذا في جزء كبير منه يرتبط بتجاوز البهرجة اللغوية، والغوص في الحدث والتأمل أكثر.

هذه الرؤية الفلسفية الجميلة التي قدمها الفارسي لتجربته الروائية الثرية تعكس عن عبقرية مكنونة وراء هذه التجربة، وعن تجربته حول علاقة الطب بالأدب، يقول الفارسي: هناك الكثير من الحكايات التي حدثت لي وعايشتها مع مرضاي، أضافت لي كإنسان، ولكنها زلزلتني ككاتب، الطب أفادني كثيراً على عدة مستويات: رصد المشاعر الإنسانية، قياس ردود الأفعال، ملاحظة التحولات البشرية، استقراء الشخصيات، كل هذه الأشياء أفادني الطب فيها كي أخلق شخصيات جديدة لا تتعرض لمرضاي أو تنتهك أسرارهم، هذه تأثيرات إيجابية واضحة على مسيرتي الروائية، وفي الختام، لقد كان خبر موته فاجعة على الأوساط الثقافية والأدبية في الخليج والوطن العربي، فرحم الله عبد العزيز الفارسي.

نقولا فياض

الدكتور نقولا يوسف فياض طبيب وشاعر وأديب وخطيب ومترجم لبناني شهير، وهو عضو في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) بدمشق، وهو شقيق الشاعر الياس فياض.

ولد عام ١٨٧٣م في بيروت في أسرة علمية معروفة تهوى الأدب والشعر والفن، وقد تلقى دراسته في مدرسة الثلاثة الأقمار الأرثوذكسية، وكان من أساتذته فيها المعلم نعمة يافث الذي غرس في نفسه حب الشعر والأدب، فأهداه ديوانه الأول رفيف الأقحوان قائلاً: إلى روح معلمي نعمة الذي قاد خطواتي الأولى في حياة الفكر والعمل وكان له أول إنشادي.

عمل بعد تخرجه من المدرسة في التجارة مدة سنتين، ثم ترك التجارة ودخل كلية الطب الفرنسية في بيروت عام ١٨٩٩م، ولما أنهى دراسة الطب عمل في مستشفى القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس في بيروت، إلى أن سافر عام ١٩٠٦م إلى باريس للتخصص في الطب فأمضى فيها خمس سنوات عاد بعدها إلى مصر حيث أمضى عشرين عاماً تقريباً متنقلاً بين الإسكندرية والقاهرة.

أسهم بالحركة الأدبية فيهما بشكل واسع، وفي عام ١٩٣٠م عاد إلى بيروت وخَلَف أخاه الراحل الياس فياض في مقعده بمجلس النواب اللبناني ثم عين مديراً لمؤسسة البريد والبرق والهاتف مدة أربع سنوات وبعد ذلك اعتزل الوظائف وآثر الانصراف

كلياً إلى ممارسة الطب والكتابة والترجمة ونظم الشعر والاجتماع برفاق حلقته الأدبية المؤلفة من الأدباء والشعراء بشارة الخوري (الأخطل الصغير) وجرجي سعد، وطانيوس عبده، وبيترو باولي والياس فياض وأديب مظهر ووديع عقل وأمين تقي الدين وتامر وشبلي الملاط، وموسى نمور والياس أبو شبكة وصلاح لبكي إلى أن وافته المنية عام ١٩٥٨م، وفي الخامسة والثمانين من عمره .

أهم أعماله الأدبية هو ترجمته لقصيدة البحيرة الشهيرة للأديب والشاعر الفرنسي ألفونسو لامارتين، وبرغم الترجمات الكثيرة لهذه القصيدة الرومانسية إلا أن ترجمة نقولا فياض تظل هي المتميزة بينهم.

المراجع والمصادر

١- من مشاهير الأطباء الشعراء، الدكتور عبد الله عبد الرزاق السعيد، عمان، ٢٠٠٠م.

٢- معجم أطباء الأدباء، محمد الخليلي، مطبعة الغرى – النجف، العراق، ١٩٤٦م .

٣- أطباء لكنهم أدباء، شمسي حسان باشا، دار أطلس الخضراء.

٤- مقالات الأستاذ إبراهيم البليهي في صحيفة الرياض.

٥- الداء والدواء بين الأطباء والأدباء، الدكتور شمسي حسان باشا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.

٦- دراسات في الأدب الفرنسي – الدكتور علي درويش - الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – ١٩٧٣م .

٧- الموقع الإلكتروني، اليابان بالعربي، موري أوغاي .

٨- مقالات الأستاذ محمد عبدالرزاق القشعمي في الصحف .

السيرة الذاتية للمؤلف

عبد الله بن أحمد عبد الله الباكري العولقي، من مواليد عام ١٩٧٩م، مدينة خميس مشيط بمنطقة عسير.

التعليم:

• بكالوريوس إدارة الأعمال، جامعة الملك فيصل، تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٤٣٨ هـ.

• شهادة حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع المتواترة، وزارة الشؤون الإسلامية عام ١٤١٤ هـ.

المحاضرات والندوات:

• ندوة ثقافية في مركز آل زلفة الثقافي والحضاري بمدينة أحد رفيدة عام ١٤٤٥ هـ بعنوان: الأطباء الأدباء.

الكتب والمؤلفات:

• كتاب: المنتخب من فنون الأدب وأشعار العرب، دار الود الحديثة، ١٤٢٦هـ - المملكة العربية السعودية.

• كتاب: الإبداع والمبدعين، دار صوت القلم العربي للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية – ٢٠١٠م.

• كتاب: أدبيات المجالس، دار قرطبة للنشر الإلكتروني – سوريا – دمشق ٢٠١٤م.

• كتاب: سمات القيادة والعبقرية لدى الملك عبد العزيز آل سعود، دار ديوان العرب للنشر والتوزيع – ٢٠٢٣م - جمهورية مصر العربية.

• كتاب: أحاديث في الأدب والثقافة والفكر، دار ديوان العرب للنشر والتوزيع جمهورية مصر العربية – ٢٠٢٣م .

• مجموعة قصصية – قصة الحياة – دار ديوان العرب للنشر والتوزيع – ٢٠٢٣م .

• كتاب: أزاهير الحياة – مقالات نقدية وثقافية في صحيفة الجزيرة – دار ديوان العرب للنشر والتوزيع – ٢٠٢٤م .

• رواية: راجح – دار ديوان العرب للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية - ٢٠٢٤م .

• كتاب: الأطباء الأدباء – دار ديوان العرب للنشر والتوزيع – جمهورية مصر العربية - ٢٠٢٤م

محتويات الكتاب

الإهداء ٤
فاتحة الكتاب ٥
علاقة الطب بالأدب ٩
نماذج الأطباء الأدباء ١٢
مؤسس النقد الأدبي الحديث ١٣
أمير القصة العربية ١٧
تشيخوف، رائد فن القصة القصيرة ٢٣
الطبيب الذي ترأس تحرير الصحافة السعودية ٢٩
إبراهيم ناجي، أمير الرومانسية ٣٣
طبيب يكتب أشهر قصص الجيب في العالم العربي ٣٦
عبد السلام العجيلي، الطبيب متعدد المواهب ٤٠
إبداعات متنوعة عند أستاذ الطب النفسي ٤٤
يزيد الديراوي ٤٧
علاء الأسواني ورواية عمارة يعقوبيان ٥٠
أديب الأطباء في اليمن ٥٣
طبيب نفسي وكاتب روايات ٥٦
سومرست موم ٦٠
أحمد خالد توفيق ٦٤

مصطفى محمود، عبقرية طبية أدبية فكرية نادرة ٦٧
إبداع في الطب والأدب والموسيقى والغناء والدراسات ٧١
طبيب النكتة والمساجلات الشعرية ٧٤
أحمد محمد البطراوي ٧٧
وجيه البارودي ٨٠
حسن هادي الجباوي ٨٣
عصام خوقير ٨٥
الطبيب إنجليزي يكتب أشهر شخصية تحرٍ في العالم ٨٨
مايكل كرايتون ٩١
الدكتور محمد شرف ٩٣
موري أوغاي ٩٦
أمير تاج السر ٩٩
إيمان يحيى ١٠١
الدكتور عبد العزيز الفارسي ١٠٤
نقولا فياض ١٠٧
المراجع والمصادر ١٠٩
السيرة الذاتية للمؤلف ١١٠
محتويات الكتاب ١١٢

دراسة أدبية
الأطباء الأدباء
عبدالله العولقي
الطبعة الأولى
١٤٤٥ هـ ٢٠٢٤ م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.